يا قدس

كتاب الموج
رئيس التحرير: فتحى الإبيارى

د. محمود حمدى زقزوق
د. حسن ظاظا
فتحى الإبيارى

بريشة : إيمان همام

فى ذكرى الإسراء البراق يبكى مسرى رسول الله ..
و دماء الأبرياء تنضح من ساحات الأقصى

كتاب أمواج

يصدر عن مجلس الثقافة بالإسكندرية
رئيس المجلس اللواء/ **محمد عبد السلام المحجوب**
محـــــافظ الإســــكندرية



إهــــداء

إلي شـــهداء الانتفـــاضــــة

لاســــــتعادة القدس

من قتلة الأنـــبياء !!

- صمم الغلاف والماكيت :

الفنان/ حسن فتحي حسنين

- سكرتيرو التحرير :

فتحي السايح – أسامة المغربي – عماد فهمي

الاخراج الفنى : فتحى محمد أبو شنب

المراسلات : ٥١ طريق الجيش – الإبراهمية – الإسكندرية – ٢٠٠١

كتاب
أمواج

د./ محمود حمدي زقزوق
وزير الأوقاف

المسجد الأقصى

في الكتاب والسنة

١ - تمهيـــد :

لكل أمة مقدسات تلتف حولها وتحافظ عليها وتعتز بها وتضعها فى مكان الأرفع من اهتماماتها وتحميها وتدافع عنها بالأنفس والأموال . وقد تكون هذه المقدسات ذات صبغة دينية أو وطنية أو غير ذلك ، وقد يكون لها أصل معروف وقد يكون هذا الأصل مجهولاً تماماً ، ولكن تقديسها قد توارثته الأجيال جيلاً بعد جيل . فالمهم لدى الأمة - أى أمة - أن لها مقدسات لا يسأل أحد عن أصلها وفصلها أو يشكك فيها وإلا اعتبر خارجاً عن الجماعة ، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بمقدسات دينية لها لدى أصحابها النصيب الأوفى من التقدير والإجلال . ولا توجد أمة فى هذا الكون بدون مقدسات تعرف بها وتكون علامة عليها .

والمقدسات قد تكون متمثلة فى أماكن معينة أو أزمنة مخصوصة أو أشياء محددة أو نصوصاً مكتوبة .

٢ - المقدسات الإسلامية :

وقد اختص الله الأمة الإسلامية بالعديد من المقدسات وعلى رأسها القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة النبوية الصحيحة ، هذا فى مجال النصوص الدينية ، يضاف إلى ذلك أماكن معينة وأزمنة مخصوصة فمن الأزمنة شهر رمضان وليلة القدر ويوم الجمعة ومن الأماكن مكة والمدينة والقدس ، أو المسجد الحرام والكعبة المشرفة والمسجد النبوى فى المدينة والمسجد الأقصى فى القدس الشريف .

ولم يكتف الحق تبارك وتعالى بجعل الأمة الإسلامية صاحبة مقدسات تختص بها وتكون علامة عليها ، بل جعلها وارثة لمقدسات ديانات التوحيد جميعاً ، وقد تمثل ذلك فى رحلته عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . فقد جعل الله هذه الرحلة تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيّين وجعلها فى الوقت نفسه تربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد . وكأن الله سبحانه قد أراد برحلة الإسراء والمعراج إعلان وراثة النبى الخاتم لجميع مقدسات الرسل من قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعاً . ومن ذلك يتضح أن هذه الرحلة ترمز إلى معان عظيمة تعلو على الزمان والمكان .

والله سبحانه وتعالى هو الذى منح التقديس والتكريم للمقدسات التى تعتز بها الأمة الإسلامية ، فهو الذى قدسها وبارك فيها وحولها . ومن هنا كانت الإشارة فى القرآن الكريم إلى الشهر الحرام والمسجد الحرام والمشهد الحرام والأشهر الأربعة الحرم ، والكعبة البيت الحرام ، والمسجد الأقصى الذى باركه الله وبارك حوله . وهكذا كل مقدسات الإسلام استمدت قداستها منه سبحانه وتعالى فهو وحده القدوس وهو وحده الذى يمنح التقديس .

وليس من غرضنا هنا فى هذا الحديث القصير أن نتحدث عن كل المقدسات الإسلامية ، وإنما نريد فقط أن نقصر حديثنا على أحد هذه المقدسات الإسلامية وبالتحديد على المسجد الأقصى الذى هو موضوع الساعة لدى الأمة الإسلامية .

٣ - تحديد مفهوم المسجدالأقصى :

المسجد الأقصى.كما هو معروف لدى جميع المسلمين هو ثالث الحرمين الشريفين ، وقبلة المسلمين الأولى ، وهو نهاية إسراء المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهو بداية المعراج إلى الملأ الأعلى . وهو فوق ذلك كله المسجد الذى شرفه الله وبارك حوله كما جاء فى القرآن الكريم فى أول سورة الإسراء :

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ﴾ .

والبركة التى عنتها هذه الآية الكريمة هى - كما يقول المفسرون - بركة دينية تتمثل فى النبوة والشرائع والرسل الذين ضمهم هذا المكان المبارك فكان متعبداً للأنبياء وقبلة لهم ، وبركة دنيوية تتمثل فى كثرة الزروع والثمار والأنهار

وقد حشد الله لنبيه ليلة الإسراء فى المسجد الأقصى جميع الأنبياء والرسل فاجتمع بهم وتحدث إليهم وأمهم فى الصلاة ، وبذلك آلت إليه الخلافة للرسالات جميعاً ، وجعل الله القرآن الذى أنزله على محمد - صلى الله عليه وسلم - مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، وجعل المؤمنين به شهداء على الناس .

وقد اتفق العلماء - كما يقول الفخر الرازى - على أن المراد بالمسجد الأقصى بيت المقدس [٣]، وسمى بالأقصى لأنه - كما يقول الزركشى صاحب

إعلام الساجد بأحكام المساجد - يُعد أبعد المساجد التى تزار ويبتغى بها الأجر من المسجد الحرام ، وقيل : لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة ، وقيل : لبعده عن الاقذار والخبائث . وقد ذكر الزركشي سبعة عشر اسماً للمسجد الأقصى منها بيت المقدس وبيت القدس والبيت المقدس ومسجد إيلياء [١] .

وهناك تفسير غريب لما يقصد بالمسجد الأقصى أشارت إليه الموسوعة الإسلامية الميسرة التى كتبها المستشرقون . ويقول هذا التفسير [٤] .

« لقد كان محمد يقصد بالمسجد الأقصى فى الغالب مكاناً فى السماء ، ويبدو أن ذلك المكان الذى تسبح فيه الملائكة بحمد ربهم فى أعلى السموات السبع ، والآية الأولى من سورة الإسراء تقدم لنا دليلاً من النبى نفسه على الإسراء به ليلاً إلى الأفلاك السماوية وهو دليل يكتفى بالإشارة إلى التجربة ولكنه لا يقول عنها شيئاً » .

وتمهيداً لهذا التفسير الغريب تقول هذه الموسوعة : إن المقصود بالمسجد الأقصى طبقاً للتفسير التقليدى هو بيت المقدس ، وتشكك الموسوعة فى ذلك قائلة : ولكن كيف أمكن لمحمد الذى يتحدث فى الآية الأولى من سورة الروم عن فلسطين بأنها أدنى الأرض أن يطلق اسم المسجد الأقصى على حرم واقع فى بيت المقدس ؟ إن العصر الذى ينتمى إليه هذا التفسير ليس مؤكداً تماماً . ولا يتعدى التفسير التقليدى للمسجد الأقصى ببيت المقدس إلى أبعد من العصر الأموى ، حيث اتجه الأمويون - كما تزعم الموسوعة - إلى تعظيم بيت المقدس على حساب أرض الإسلام المقدسة فى مكة .

والإشارة إلى مثل هذا التفسير الغريب إشارة لئيمة تريد أن تحول أنظار المسلمين عن تقديسهم لبيت المقدس فى فلسطين إلى مكان ما فى السموات ، وبذلك لا تكون لهم أية حقوق دينية فى بيت المقدس .

وفى مكان آخر من الموسوعة المذكورة نجد ما ينقض هذه المزاعم بطريق غير مباشر حيث يقول كاتب مادة مسجد عند حديثه عن المسجد الأقصى (ص١٠٧٥) : « وعلى أى حال كان بيت المقدس يعتبر فى الإسلام منذ زمن مبكر جداً مكاناً مقدساً إذ كان القبلة الأصلية التى ظلت تحتفظ بقداستها برغم الانصراف عنها كقبلة ، وهو ما يمكن أن نراه مثلا من حقيقة أن عمر أمر ببناء مسجد فوق موقع المعبد » .

وهكذا تتخبط هذه الموسوعة وتناقض نفسها بنفسها ، الأمر الذى يغنينا عن الاشتغال بالرد عليها .

وعلى الرغم من أن كتاب الأمان الذى أعطاه عمر بن الخطاب - رضى الله عنها - لأهل هذا البلد عام ١٧هـ يذكر المدينة باسم إيلياء حيث كانت تعرف لديهم بهذا الاسم ، وقد يكون فى ذكر هذا الاسم فى وثيقة الأمان تطييب لخاطر أهل البلد وسكانها وخاصة أنه اسم غير مستنكر لأن معناه بيت الله - على الرغم من ذلك فقد كان المسلمون فى حياة النبى - صلى الله عليه وسلم - يعرفون تسميتها أيضاً ببيت المقدس . فقد روى البخارى ومسلم والإمام أحمد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :

[لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس نمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه] . ويشتمل صحيح البخارى على أحد الأبواب بعنوان : « باب مسجد بيت المقدس » [1].

ومن ذلك يتضح أن تسمية بيت المقدس قديمة قدم الإسلام ذاته .

وتقدر مساحة الحرم القدسى الذى أطلق عليه المسجد الأقصى بحوالى ٢٦.٦٥٠ متراً مربعاً يضمها سور بلغ طوله فى الناحية الشرقية ٤٢٤ متراً ، ومن الناحية الغربية ٤٩٠ متراً ، ومن الناحية الشمالية ٣٢١ متراً ، ومن الناحية القبلية ٢٨٣ متراً [1] .

والمقصود بالمسجد الأقصى فى القرآن الكريم هو جميع ما أحاطه السور وفيه الأبواب ويشمل المسجد المعروف الآن بالمسجد الأقصى ومكان الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما [2] . ولم يكن هناك عند نزول الآية الكريمة بناء معروف بالمسجد الأقصى ، ولا بناء آخر معروف بمسجد الصخرة المشرفة ، ولا سائر الأبنية المنتشرة فى ساحة المسجد الأقصى ، وإنما سمى فى الآية الكريمة بالمسجد لأنه مكان العبادة . ولذلك فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لما جاء القدس عام الفتح فى السنة السابعة عشرة للهجرة استشار كعب الأحبار : أين يقع المسجد ؟ فقال له كعب : اجعله وراء الصخرة . فقال له : ضاهيت اليهودية يا كعب ، بل نجعله صدر المسجد وهو المسجد المعروف بالعمرى الآن . وقد بنى عبد الملك بن مروان المسجدين المعروفين بمسجد الصخرة والمسجد الأقصى .

ومن هنا يتضح أن إطلاق اسم المسجد الأقصى على المسجد المعروف الآن هو اصطلاح حادث . وهذا لا يمنع من أن هناك أبنية درست معالمها كانت

---

(١) راجع : مقدساتنا الإسلامية : قبة الصخرة والمسجد الأقصى للدكتور عبد الرحمن زكى ص ١١ . من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٦٧م .

(٢) بيت المقدس فى الإسلام ص ١١٤/١١٥ .

قائمة فى هذا المكان المقدس منذ عهود سحيقة ، خاصة وأننا نعلم - كما سنشير إلى ذلك فيما بعد - أن سليمان عليه السلام - قد قام بتجديد المسجد الأقصى .

وقد أجمع المؤرخون والعلماء على الاتفاق على إطلاق المسجد الأقصى على ما دار عليه السور وفيه الأبواب وهو الذى كان معروفاً عند الإسراء والمعراج . ولذلك فإن إقدام الصهاينة على الصلاة فى ساحة المسجد بحجة أنه بعيد عن المسجد الأقصى فيه اعتداء صارخ على التاريخ وعلى حرمة المسجد الأقصى المبارك ، وانتهاك لمقدسات المسلمين .

لقد رفض الخليفة عمر بن الخطاب أن يصلى داخل كنيسة القيامة عندما أدركته الصلاة على الرغم من أن رئيس الأساقفة قد سمح له بذلك ، ولكن عمر امتنع خشية أن يدعى المسلمون بعد ذلك أن لهم حقاً فى ذلك المكان بسبب صلاة عمر فيه . فأين هذا الذى فعله عمر من ذلك الذى يفعله الصهاينة اليوم بالمقدسات الإسلامية ؟ [1].

٤ - فضل المسجد الأقصى :

وهذا المكان المبارك الذى باركه الله وبارك حوله والذى تعبد فيه الأنبياء له مكانة عظيمة ومنزلة كبيرة فى قلب كل مسلم . فقد جعله الإسلام أحد المزارات الإسلامية المقدسة التى لا تشد الرحال إلا إليها كما ورد فى الحديث الشريف :

---

(١) راجع : مكانة القدس فى الإسلام للشيخ عبد الحميد السايح ص٢٨ وما بعدها - من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٩م.

[لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى] [1].

وهذه الخصوصية التى اختصت بها هذه المقدسات الثلاثة تمتد أيضاً لتشمل أفضلية الصلاة فيها على غيرها من المساجد . فقد روى ابن ماجه عن أنس مرفوعاً أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال :

[صلاة الرجل فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة] . وهناك روايات أخرى فى مقدار فضل الصلاة فى المسجد الأقصى . والحق أن الخلاف الواقع بين هذه الروايات لا يؤثر على جوهر الموضوع . فالمهم هو زيادة الثواب للمصلى الذى يصلى فى هذه المساجد الثلاثة التى من بينها المسجد الأقصى .

وترجع أقدمية المسجد الأقصى إلى أعماق التاريخ . وهذا ما يؤخذ من الحديث الشريف الذى رواه الشيخان عن أبى ذر – رضى الله عنه – قال : « قلت يا رسول الله ، أى مسجد وضع فى الأرض أولاً ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً وحيثما أدركتك الصلاة فصل » [2].

ويقول الزركشى فى كتابه إعلام الساجد بصدد الزمن الذى بين بناء المسجدين : « إن سليمان – عليه السلام – إنما كان له من المسجد الأقصى

(1) رواه البخارى ومسلم .

(2) راجع أيضاً : المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح للشيخ عبد اللطيف مشتهرى ص ٣٤ ، ٣٥ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٩م .

تجديده لا تأسيسه ، والذى أسسه هو يعقوب بن إسحق - عليهما السلام - بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر ».

وقد بلغ من تعظيم المسلمين للمسجد الأقصى حداً جعلهم بعد وفاة النبى - صلى الله عليه وسلم - يفكرون فى دفنه بجوار المسجد الأقصى ، وجعلهم يعتبرون الصخرة المشرفة كالحجر الأسود .

وقد روى النسائى وابن ماجه فى سننهما عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة : سأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله حكما يواطئ حكمه (وفى رواية حكما يصادف حكمك) فأعطاه إياه ، وسأله من أتى هذا البيت ، يريد بيت المقدس ، لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة [1].

٥ - تحويل القبلة ودلالاته :

وقد كان المسلمون فى مكة يتجهون فى صلاتهم نحو بيت المقدس . فقد أخرج الإمام أحمد والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يصلى وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه . وبعد ما هاجر إلى المدينة (كان يصلى نحو بيت المقدس) ستة عشر شهراً ثم صرف إلى الكعبة .

---

(١) راجع : إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٨٢،٢٠ ، ٢٩١ .

وكان اليهود بعد هجرة النبى إلى المدينة وصلاته نحو بيت المقدس قد فرحوا بهذا التوجه نحو بيت المقدس ظناً منهم أنه بذلك يتبع ملتهم ، ولكنهم بعد تحويل القبلة إلى الكعبة بدأوا فى السخرية من المسلمين بهذا التحويل . والقرآن الكريم يقول فى هذا الصدد : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ [1].

ولم يكن تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة تحولا عن تقديس بيت المقدس ولا نكوصاً أو هجراناً . فقد ظل المسجد الأقصى أحد المزارات الثلاثة المقدسة فى الإسلام التى لا تشد الرحال إلا إليها . كما أن هذا التحول لم يكن محاولة للتخلص من التأثير اليهودى المزعوم على الإسلام كما يزعم الزاعمون ، وإنما كان إيحاء إلهيا باكتمال ربط قلوب المسلمين بأماكن الله المقدسة : بيت المقدس وإقليمه والكعبة وإقليمها . وفى هذا الربط إيحاء روحى بالمحافظة على تلك الأماكن المقدسة وبالتضحية فى سبيل تطهيرها من عبادة غير الله ومن سلطان غير المسلمين [2].

٦ - مدى اهتمام المسلمين بالمسجد الأقصى :

وقد أبدى المسلمون اهتماماً عظيماً بالمسجد الأقصى عبر التاريخ بوصفه أحد المقدسات الإسلامية . ولم يكن فتح المدينة المقدسة هو أول فتح إسلامى لها . فقد فتحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الفتح العربى لها وذلك برحلته المباركة إليها ليلة الإسراء ، وكان هذا يُعد إيذاناً للمسلمين بعدم

---

(١) بيت المقدس فى الإسلام - ص ٦٢ وما بعدها .

(٢) من توجيهات الإسلام للشيخ شلتوت ص ٤٥١ ، طبعة الأزهر ١٩٥٩م .

التخلى عنها . وقد شهدت المدينة المقدسة منذ تم فتحها فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - شهدت عهداً جديداً من الاستقرار والسلام لم تشهد له مثيلاً فى تاريخها الطويل .

ويروى الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية أن عمر حين دخل بيت المقدس صلى فيه تحية المسجد بمحراب داود وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ فى الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه ، وفى الثانية بسورة الإسراء . وبعد ذلك جاء إلى الصخرة المشرفة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار . ثم نقل التراب وأزال القاذورات عن الصخرة المشرفة ، وجعل يكنسها بيده ويحملها فى ردائه وجعل المسلمون يحذون حذوه ويكنسون معه .

وقد تتبع المسلمون مساجد الأنبياء مسجداً مسجداً ابتداء من إبراهيم الخليل - عليه السلام - إلى آخر من دفن منهم فى فلسطين وبيت المقدس فأعادوا بناءها وحافظوا على قدسيتها وطهروها من كل الأدناس . فمقدسات الأنبياء جميعاً هى مقدسات المسلمين . وقد غلب على المدينة بعد الفتح الإسلامى اسم بيت المقدس ، وهى التسمية التى يفضلها المسلمون لأنها تعنى أن تكون هذه المدينة مقدسة طاهرة خالصة لله تعالى يؤمها المؤمنون جميعاً للعبادة والتطهير .

وقد كانت عناية المسلمين بالمدينة المقدسة عناية فائقة لعدة أسباب :

أولاً : لأن الله قد اختصها بالعديد من الأنبياء ابتداء من إبراهيم إلى عيسى - صلوات الله عليهم أجمعين - . وقد ورد عن ابن عباس - رضى الله عنه -

قال : « البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ، ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبى أو قام فيه ملك » .

ثانياً : لأن الله سبحانه وتعالى قد خصها بإسراء محمد - صلى الله عليه وسلم - فكانت نهاية رحلة الإسراء وبداية رحلة المعراج .

ثالثاً : لأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

رابعاً : لأن المسلمين كانوا يعدون هذه المدينة الثغر الذى يمكن أن ينفذ منه العدو إلى الكعبة المشرفة وقبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - . ولذلك فإنه عندما استقر بهم الأمر جعلوا نصب أعينهم حماية هذا المكان الطاهر لقداسته من جانب ، ولدرء الأخطار المحتملة على الأماكن المقدسة الأخرى من جانب آخر [1] .

٧ - خاتمــــة :

لقد سجل تاريخ هذه المدينة المقدسة أنها قد نعمت فى ظل الحكم الإسلامى بالاستقرار والسلام مدة ثلاثة عشر قرناً باستثناء قرن واحد تمكن فيه الصليبيون من الاستيلاء عليها وعلى أجزاء من فلسطين . وفى هذه الفترة الإسلامية الطويلة أطلقت حرية العبادة لجميع الطوائف دون استثناء [2] .

ولن نتحدث هنا عن الإنجازات الحضارية والعمرانية التى قام بها المسلمون فى المدينة المقدسة طوال حكمهم الطويل ، ولن نتحدث عن سماحة المسلمين الرائعة فى معاملتهم لأعدائهم فهذا حديث يطول شرحه . ولكننا نود

(١) بيت المقدس فى الإسلام ص ٩-١١ .

(٢) المرجع السابق ص ١١ .

فى نهاية حديثنا أن نذكر فقط بواجب المسلمين اليوم إزاء المسجد الأقصى الذى غدا أسيراً فى يد العدو الصهيونى الغاصب .

إن الصليبيين عندما أشعلوا على مدى قرنين من الزمان نار الحرب الاستعمارية - التى سموها كذباً حرباً صليبية دينية - اشترك فى الدفاع عن الإسلام والعروبة حينذاك المسلمون على اختلاف طوائفهم . فقد اشترك الفاطميون والسلاجقة والأيوبيون والمماليك والعرب فى الدفاع عن حصون الإسلام ، وظلت الحرب سجالاً إلى أن قيض الله صلاح الدين الأيوبى للقيام بشرف تحرير بيت المقدس من الغاصبين ، وأظهر من السماحة والعفو والصفح وجميل المعاملة ما يسجله له التاريخ بحروف من نور .

والتاريخ اليوم يعيد نفسه . فالمسجد الأقصى أسير فى يد عدو غاشم لم يتورع عن إضرام النار فيه قصد إحراقه عام ١٩٦٩م . ومقدسات المسلمين هى شرفهم وعرضهم . والواجب الدينى ينادينا أن نوحد صفوفنا ونجمع كلمتنا وننسى خلافاتنا وننسق خططنا ونضاعف مساعينا ونعمل جاهدين بكل الوسائل المتاحة لنا من أجل استعادة مقدساتنا وتحرير بيت المقدس من ذل الأسر المهين .

ولعلنا فى هذا الصدد نتذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

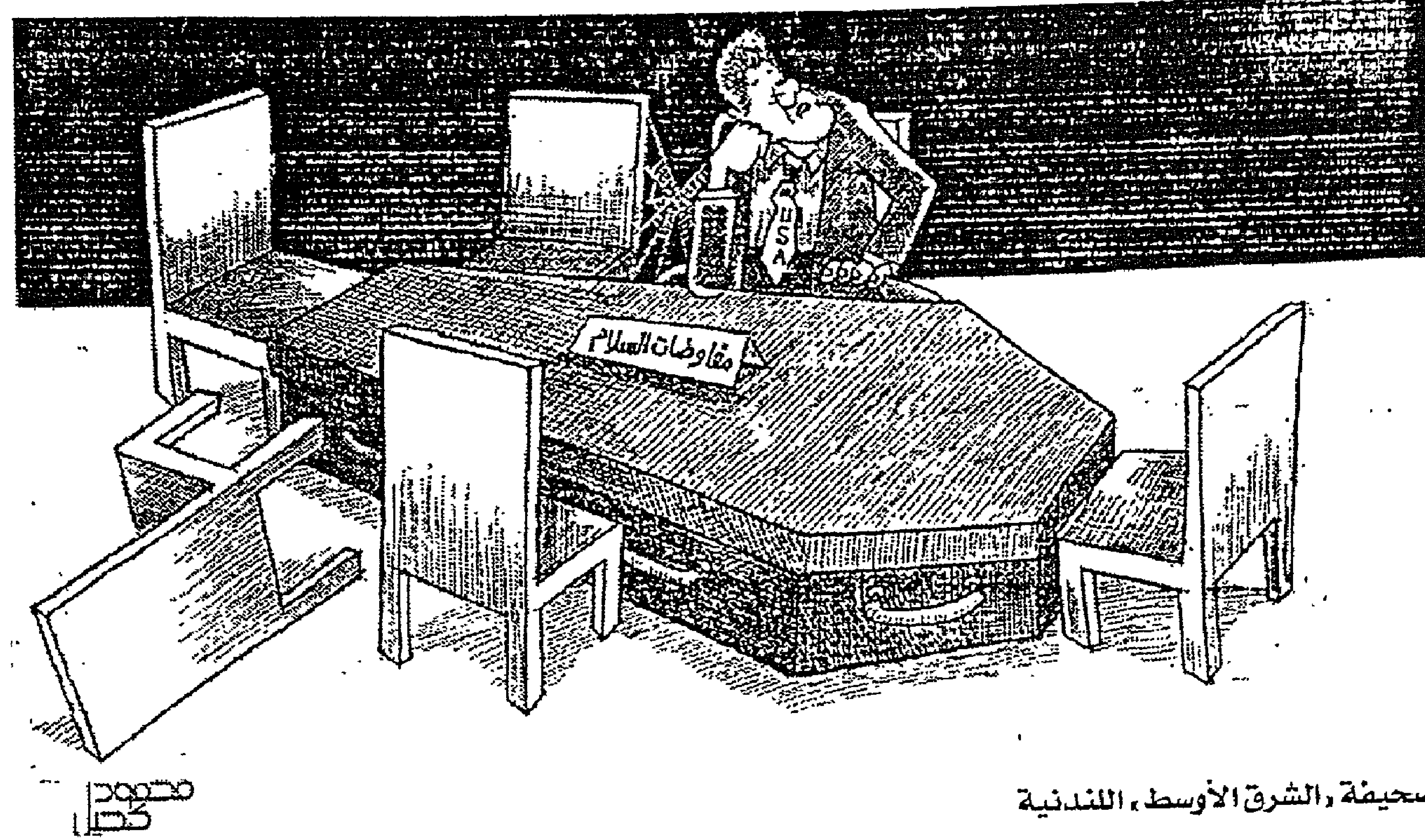
[لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك . قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس]

والله نسأل أن يوفق الأمة الإسلامية إلى ما فيه خيرها وعزها ومجدها حتى تكون بحق خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لها أن تكون . وبالله التوفيق ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .





إصرار أقوى من مليون دبابة: بالتأكيد إن الإصرار الذى يملأ صدر هذا الطفل هو أقوى من مليون دبابة من دبابات الاحتلال وإن الحجارة التى تبدو أشد صلابة من أى قهر [صورة من أ.ب]



صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية



د./ حسن ظاظا
أستاذ الدراسات العبرية بآداب
الإسكندرية

القدس

مدينة الله ...؟

أم مدينة داود ... !!!

من الحاضر إلى الماضى

لاسرائيل أسلوب لا يعوزه الدهاء فى السياسة التى تنتهجها فى مشكلة الشرق الأوسط ، وهو أسلوب تحاول به أن يطول بقاؤها بفلسطين ، فى عالم يتميز بأن عمر الاستعمار فيه قصير ، وحياته فى البلاد التى يتشبث بها رهيبة مرة لا راحة فيها ولا اطمئنان . وأسلوبها هذا مبنى على «التعقيد» . والانحراف بالمسائل عن الطريق الواضحة المستقيمة باثارة مشاكل جانبية مفاجئة ، من الأفضل لدى قادة الصهيونية الا ترتبط بفن تنسيق العلاقات الدولية ، والدخول اليها من أبوابها الواسعة ، بقدر ما ترتبط بغيبيات مظلمة . وأساطير متنكرة فى ثياب التاريخ ، و «ميتافيزيقيات» غير انسانية ، ان لم تنجح فى خداع العالم بصورة نهائية فانها . على الأقل، تجره فى دوامتها السحرية مدة من الزمن تطول أو تقصر بحسب الظروف . واسرائيل تخترع هذه «العقد» وتفتعلها بتوقيت دقيق بحيث تتراكم وتتراكب حتى تصبح ملفات «مشكلة الشرق الأوسط » فى مكاتب هيئة الأمم المتحدة ، وأرشيفات وزارات الخارجية فى العالم أشبه بمجلدات التلمود ، التى لا تدعك تنفذ من اعتراض الا لتقع فى اشكال . أو تنزلق فى شبهة ، أو تنساق إلى نقاش كلامى طويل ، ينتهى بأن تصرخ متسائلا وقد كادت اعصابك تنهار : والآن.. أين القول الفصل ؟.. اين الحلال والحرام ؟ وهيهات أن تجد جواباً ! وليس أشد ازعاجاً لكهنة السياسة الاسرائيلية فى قديم الزمان وحديثه من «القول الفصل» ، ومن الحل العادل المنطقى الانسانى المباشر ، وكلما ظهر فى طريقها من يكشف لولبيتها . وتعقيدها هذا للبسيط من الأمور ، مما لا يدع لها مجالا للمغالطة والتهريج ، لجأت معه إلى الجريمة .. إلى القتل : هكذا كان موقفهم قديماً من نبيهم ارمياء . ومن يوحنا المعمدان : ومن عيسى المسيح ، وهكذا إلى أن نصل حديثاً إلى اغتيال اللورد موين وزير المستعمرات البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية ، والكونت برنادوت السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ، وما لا يحصى غيرهم من ضحايا الظلاميات الاسرائيلية المطبقة .

وهناك «عقدة» ظل الاسرائيليون يدخرونها للوقت الذى يصل بهم الحرج فى ميدان السياسة الدولية إلى ذروته : وهى القدس . فمنذ بدأ المشروع الصهيونى المعاصر نشاطه فى أواخر القرن الماضى . والقائمون عليه يحتاطون جداً فى لمس هذه العقدة ، حتى اضطروا طوال مدة مديدة إلى أن يتزودوا لها بوجهين يقولان كلامين مختلفين بحسب المستمعين .

الوجه الأول هو الوجه اليهودى القح الذى يتكلم إلى اليهود الاقحاح فلا يترك قسما غليظاً ولا قولا معسولا فى الاستيلاء على القدس : و «تطهيرها» من الاسلام والمسيحية الا قاله : ولا يكاد ينعقد اجتماع صهيونى كبير أو صغير ، من اللقاء العابر المرتجل فى بعض الأعياد أو المناسبات : إلى إلى المؤتمرات الصهيونية العالمية ، حتى يطلق اسم «اورشليم» مرات ومرات . وسط الحماس المتهوس الذى لا يعرف له رأساً من رجلين .. وأبسط ذلك وأقربه منالا هو الترنم بنص من المزامير (مزمور ١٣٧/ ٥ — ٦) يقول : «ان نسيتك يا أورشليم فلتنسنى يمينى . ليلتصق لسانى بحنكى ان لم أذكرك . ان لم أرفع أورشليم على قمة ابتهاجى» ويقال ان تيودور هرتسل — زعيم الصهيونية الحديثة — كان قد وافق على اقتراح السياسى البريطانى «تشمبرلين» الكبير فى اعطاء اليهود وطناً قومياً فى أوغنده بوسط افريقيا . ولكن غلاة الصهيونية ثاروا على زعيمهم ، واعتدوا على مساعده «ماكس نورداو» بالرصاص ، واتهموا «هرتسل» نفسه بالخيانة . وعند اجتماع المؤتمر الصهيونى العالمى السادس بدأوا يهتفون ضده من القاعة حتى إذا ما بدأ ينشد «ان نسيتك ياأورشليم» .. نسوا هم كل شىء : وصفا له الجو . وسلمت له الزعامة . بعد أن سلمت لهذه الجماعة الهستيرية « مدينة داود» .

وأما الوجه الثانى : فتلتفت به الصهيونية إلى الأمم الأخرى . تلتفت لتقول لهم كلاماً معسولا أيضاً عن «المدينة المتحف» . «المدينة المقدسة» لكل الملل والأديان : «مدينة الله» . وكانت اسرائيل بهذا الوجه تستجدى رضا الرأى العام المسيحى فى أوروبا وأمريكا ، وتخدر الرأى العام الاسلامى فى افريقيا وآسيا ، وتتهرب من نقمة العلمانية واللاعنصرية فى العالم أجمع .

وهكذا جعلوا عاصمتهم أولا «تل أبيب» لا «القدس» وقنعوا من ارضاء بسطاء اليهود فى العالم ببناء «اروشليم جديدة» على أطراف المدينة التاريخية تتكون من بضعة أحياء إلى الغرب والشمال أشهرها «رحبيا» و« محنى يهودا» و «كرم ابراهام» ثم أضافوا اليها أحياء عربية اغتصبوها بالارهاب مثل «البقعة» و «القطمون» و «بيت صفافا» وغيرها . وجعلوا فى حكومتهم وزارة خاصة اسمها «وزارة الشئون الدينية» . ورضوا بأن تبقى المدينة القديمة «القدس الشريف» بالمسجد الأقصى وكنيسة القيامة وغيرهما من المعالم والمشاهد المسيحية والاسلامية المقدسة جزءاً من المملكة الأردنية يفصله عن اسرائيل سور معترف به كحدود دولية من هيئة الأمم المتحدة .

ثم خطت الصهيونية خطوتها الجريئة فى حرب يونيه ١٩٦٧ فأزالت هذا السور واحتلت القدس التاريخية ضمن ما احتلت – وما تزال – من الأراضى العربية داخل حدود الأردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة ؛ وتسرعت فأعلنت «توحيد القدس» أى ضم القدس الشرقية – وهى المدينة العربية التاريخية – إلى «أورشليم الجديدة» ، وادخالها فى مخطط «تهويد» معلوم مرسوم . ولكى يبتلع العالم كل هذه المغلطات دون صياح كثير قسم قادة الصهيونية أنفسهم إلى «جوقات» كل منها يتجه بصوته جهة خاصة يلقى فيها بالبيانات والتصريحات المناسبة : «بن جوريون» و «موسى ديان» وبقية «الكورس القومى» يعلنون انه لا اسرائيل بدون القدس التاريخية ، «مدينة داود» ؛ وأن الحائط الدولى الفاصل بين القدس القديمة شرقاً والجديدة غرباً كان وصمة فى جبين الشعب اليهودى ، وأن المدينة كلها يهودية مائة فى المائة ماضيها ولابد أن تصير كذلك فى مستقبلها . وفى نفس الوقت يقف فى الجهة الأخرى «الكورس الدبلوماسى» بقيادة «ابا ايبان» و «يجال آلون» ليؤكد أن القدس «مدينة الله» وأن المعالم المقدسة فيها لها حصانة سماوية لا يمكن المساس بها . وأن المدينة المقدسة مفتوحة على مصراعيها للناس جميعاً من كل الملل والنحل وأنها ستظل كذلك .

وتترسب فى الرأى العام العالمى . فى العقل الباطن للناس ، انطباعات هى وحدها التى أرادها اليهود ، أنهم أصحاب الحق الشرعى والتاريخى الأول فى هذه المدينة ، وانهم لا يتكلمون من مركز القوة فحسب ، بعد نكسة يونيه ١٩٦٧ ، بل من سجلات التاريخ أيضاً . وكاد العالم أن يبتلع ما شاءت الصهيونية بدون صياح كثير .

ثم تشتد المقاومة الفلسطينية فى كل مكان . وتصمد الأمم العربية الواقفة على خط المواجهة ، ويطول صمودها بما خيب ظن اسرائيل . بل أنها لا تكتفى بالدفاع المتكافىء عن مواقعها فتلقن القوات الاسرائيلية الضاربة ، كلما حدث اشتباك ، درساً فى ضرورة التروى والتفكير الطويل قبل الدخول فى اشتباكات أخرى ، وتخرج من جزع الهزيمة ومرارة الدفاع المستميت إلى امكانيات التخطيط للمستقبل ، ويبدأ ذلك بتنسيق كامل بين الجبهات الثلاث . ثم بينها وبين قيادة الكفاح الفلسطينى المسلح ، على نحو يجعل الغلاة من قادة الصهيونية قلقين على المستقبل جداً . فالانتصار السهل فى معركة محلية خاطفة ، قد حل محله خطر الحرب الشاملة إذا هم اصروا على طلباتهم . والوقوف خلف المدافع عند خطوط وقف اطلاق النار سنين طويلة . سيهز الصورة الرائعة التى رسمتها الدعاية الصهيونية للجيش الاسرائيلى الذى لا يغلب . بين جماهير اليهود الطيبين البسطاء فى العالم . الذين يعيشون على رومانسية عسكرية حالمة تستمد عناصرها من قصة داود وتغلبه على العملاق جالوت . هذا فضلا عن أن وقوف السنين الطوال خلف المدافع سيحد أيضاً من الانتاج ، وسيصيب بالعقم والجرب مواسم الحج والسياحة . وسيتطلب المليارات من الليرات الاسرائيلية ثمناً لهذا الترف الذى تتحاشاه أكبر الأمم وأغناها . وسيترك لحلفاء اسرائيل والواقفين وراءها فرصة طويلة للتأمل والتفكير المادىء فى المصالح الحقيقية والدائمة لشعوبهم . ستنتهى غالباً بانفضاضهم عنها كلياً أو جزئياً . وقد بدأ ذلك فعلا بتخلى فرنسا عن تبنيها للصهيونية ، وأعقب ذلك انكماشاً من جانب انجلترا وايطاليا وتركيا والارجنتين وغيرها من دول العالم فى موقفها من الصهيونية .

فى وسط هذا الدخان الكثيف : يشب حريق المسجد الأقصى ، ولأمر ما تحرص اسرائيل على أن تعلن منذ بداية التحقيق أن المسئول عن هذه الجريمة «مايكل روهين» ليس يهودياً ولا اسرائيلياً بل شاب استرالى من اتباع طائفة مسيحية متطرفة ، ولكن العالم لا يبتلع ذلك بسهولة : ويبدأ القلق ؛ لا بين المسلمين وحدهم ولكن بين جماهير العالم المسيحى أيضاً . وتذهب اسرائيل فى الاعتذار عن أقل ما يمكن اتهامها به وهو الاهمال فى القيام بمسئولياتها عن أمن الاماكن المقدسة وسلامتها كل مذهب . ولكن حججها تبدو واهية هزيلة لا تفلح فى ازالة القلق الشديد من نفوس غير اليهود فى الشرق والغرب . ويقوم وزير خارجيتها «ابا ايبان» بجولاته التقليدية ، لا يألو فيها جهداً . حتى يصل إلى الفاتيكان وإلى لقاء قداسة البابا بولس السادس نفسه . ولكن المقابلة «التاريخية» لا تأتى الا بنتائج «سلبية» . وتعلن رئيسة الوزراء السيدة «جولدا مايرٍ» عن عزم الحكومة الاسرائيلية على ترميم المسجد الأقصى على نفقتها — كمجرد عملية تخريب . ناجحة بكل أسف . لمؤتمر القمة الاسلامى .

كل هذا «والعقل الباطن» للعالم كله ما يزال ينقع فى تاريخ فولكلورى مؤداه كما قلنا أن القدس «مدينة داود» وأن ما يحدث فيها الآن — على بشاعته — هو صراع بين« ظواهر» طارئة وبين تاريخ قديم يريد أن يعيد نفسه . فلنعد إذن إلى التاريخ ولنتركه يقول ما عنده باختصار .

اورشليم (القدس) قبل العبريين

أقدم النقوش التى ورد فيها ذكر هذه المدينة موجودة عندنا فى المتحف المصرى بالقاهرة . فى مجموعة اللوحات المكتوبة بالخط المسمارى واللغة البابلية (لغة العراق القديم) تتخللها شروح باللغة الكنعانية (لغة فلسطين القديمة) . وهذه النقوش تسمى «لوحات تل العمارنة» وقد عثر عليها فى أوائل القرن العشرين فى هذه المنطقة من محافظة أسيوط : وهى وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث (من ١٤١١ إلى ١٣٧٥ قبل الميلاد) وابنه اخناتون (١٣٧٥ — ١٣٥٠ ق . م) .

تسمى أورشليم (القدس) فى هذه االنقوش «اوروسالم» . ففى رسالة كتبها «عبدخيبا» إلى أمينوفيس الثالث نجد أن الأول هو حاكم القدس «اوروسالم» من قبل فرعون . وأنه يستنجده بمدد عسكرى لصد غارات شراذم من الغجر الرحل اسمهم «حبيرو» اتفق الباحثون على أنهم «العبريون» كما ذكر ذلك الاثرى «بندليبورى» الذى أشرف زمناً طويلا على الحفائر فى هذه المنطقة وألف فيها كتابه المشهور «حفائر تل العمارنة» . ويقول المؤلف نفسه ان معبد «أتون» فى تل العمارنة بخطته المعمارية المتميزة ، وبالخلفية الدينية التى جعلته قبلة للناس كافة هو الذى الهم بناة المعابد فى بلاد النوبة والآسيويين فى اورشليم فكرة «المعبد المركزى» أو «المعبد القبلة» الذى يتجه اليه الناس جميعاً فى صلاتهم ويأتون اليه فى حجهم .

نجد اسم اورشليم بعد هذا التاريخ يتكرر فى لغات أخرى ، ففى نقوش الامبراطور الاشورى سنحاريب (حول ٧٠٠ ق . م) يرد اسمها هكذا «اوروسليمو» وفى العبرية «يروشالايم» وفى النقوش اليونانية من عهد الاسكندر الأكبر (حوالى ٣٣٠ ق . م.) وردت بلفظ «هيروسوليما» أو «سوليما» باختصار . وانتشر اسمها من الكتاب المقدس فى جميع لغات العالم تقريباً .

أما اسم «القدس» فلابد أنه رافق المدينة منذ بداية تاريخها . أى منذ ما قبل العبريين عندما أقيمت فيها لأول مرة أماكن مقدسة خاصة ببعض العبادات القديمة . وعلى أية حال فان المؤرخ اليونانى هيرودوت (٤٨٤ — ٤٢٥ ق . م.) لم يذكر فى تاريخه المشهور اسم اورشليم ولكنه ذكر مدينة كبيرة فى الجزء «الفلسطينى» من الشام وسماها (قديتس) مرتين فى الجزء الثانى والثالث من تاريخه . ويقول المستشرق اليهودى الفرنسى «سالومون مونك» فى كتابه «فلسطين» ان هذا الاسم على الأرجح هو «القدس» محرفاً فى اليونانية عن النطق الارامى «قديشتا» . وحتى اليهود فى الكتاب المقدس قد اطلقوا عليها أحياناً اسم «مدينة القدس» (اشعيا ٢/٤٨ ، نحميا ١/١١) و «جبل القدس» (اشعيا ١٣/٢٧) كما سميت «مدينة الله» (المزامير ١/٤٨) «مدينة الحق» (زكريا ٣/٨) .

واسم «اورشليم» ليس عبرياً أصيلا . فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول العبريين اليها بشهادة نص تل العمارنة ، وبدليل أن اليهود وجدوا صعوبة فى كتابة اسمها باللغة العبرية «يروشالايم» فهذه الياء الواقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تثبت فى الكتابة العبرية . وقد كتبت بدونها فى اسفار العهد القديم ٦٥٦ مرة وكتبت بها ست مرات فقط ، ولذلك نص علماء التلمود على وجوب كتابتها بالاياء (التوسفتا . كتاب الصوم (تعنيت) ١٦/٥) .

أما معنى «اورشليم» فمختلف فيه أيضاً . وارجح الأراء من الناحية العلمية انها مركبة من «أور» بمعنى موضع أو مدينة و «شالم» وهو اسم اله وثنى لسكان فلسطين الأصليين هو « إله السلام » — يالسخرية التاريخ !. فالمدينة اذن كانت مكرسة لاله السلام حتى وصل العبريون . وهناك من يقول ان كلمة «اور» معناها الميراث . فيكون «أورشليم» بمعنى ميراث السلام. أما أحبار اليهود فيدعون أن سام بن نوح قد سماها «شلم» أى السلام وان ابراهيم الخليل قد سماها «يرأه» وهى بمعنى الخوف باللغة العبرية فقرر الله أن يسميها بالاسمين جميعاً «يرأه — شلم» أى «اورشليم» بمعنى الخوف والسلام (المدراش — الشرح الكبير على سفر التكوين «بريشيت ربا — ٥٧) وبنوا على هذه التخريجات الفولكلورية عقائديات رهيبة حول السلام المتولد عن الرعب . وقيل أيضاً أن «يرو» يمكن أن تكون فى اللغات السامية بمعنى «اله» ويكون اسم المدينة بكل بساطة «اله السلام» .

ولو توفرت الأدلة على أن سام بن نوح هو الذى سمى المدينة باسمها لوافقنا احبار اليهود على أن المدينة نفسها ترجع إلى عهد سيدنا نوح ، ولكن لم يقل أحد غيرهم بذلك . حتى التوراة نفسها . فانها تتحدث عن «اورشليم» لأول مرة فى زمن ابراهيم (حوالى سنة ١٩٠٠ ق . م .) وكان اسمها «شاليم» فقط . وكان ملكها من سكان فلسطين الأصليين ، ويبدو من السياق أنه كان يحكم حكماً دينياً ، تقول التوراة (سفر التكوين ١٨/١٤) «وملكيصدق ملك شاليم أخرج خبزاً ونبيذاً ، وكان كاهناً لله العلى ، وباركه وقال :

مبارك ابرام من الله العلى «مالك السماوات والأرض» . فاورشليم (القدس) كانت مدينة مباركة لله العلى من قبل داود بل من قبل ابراهيم أيضاً .

وعلى عهد يوشع بن نون خليفة موسى (حوالى ١٤٥٠ ق . م .) كان العبريون قد أصبحوا بعشائرهم التى تهدد أمن المدن الفلسطينية خطراً يحسب حسابه : ويؤكد ذلك نص تل العمارنة الذى أشرنا اليه . لذلك نجد تحالفاً يعقد بين أمراء الفلسطينيين على أثر انتصار يوشع بن نون فى أريحا وعاى وجبعون ، (يوشع ١٠/٣ — ٤) «فارسل أدونيصدق ملك اورشليم الى هوهام ملك حبرون (الخليل) . وفرآم ملك يرموت . ويافع ملك لكيش ، ودبير ملك عجلون» . ولكن يوشع بن نون ينشر الرهبة فى كل فلسطين فتخضع له بعض البلاد ويحاربه البعض الآخر . ويصالحه فريق من «الخائفين» على امتيازات معينة يتنازلون عنها للعبريين . وكانت «اورشليم» من المدن الفلسطينية التى قاومت الغزو قروناً طويلة . فمثلا نجد يوشع بن نون نفسه يجعلها فى نصيب قبيلتى بنيامين ويهوذا من أسباط بنى اسرائيل . ولكنهما لم يستطيعا — ولمدة طويلة جداً — طرد سكانها الأصليين «اليبوسيين» وهم احدى القبائل الفلسطينية القديمة . (يوشع ١٥/٦٣) : «وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم الى هذا اليوم» . والمقصود اليوم الذى يروى فيه الراوية هذه الوقائع عن يوشع وبعد وفاته بمدة علمها عند الله . وبعد موت يوشع بن نون أعاد سبط يهوذا الكرة على أورشليم . «وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار» . سفر القضاة (١/٨) . أما سبط بنيامين فانهم فشلوا كذلك فى طرد اليبوسيين وسكنوا معهم «إلى هذا اليوم» (قضاة ١/٢١) .

لذلك بقيت أورشليم تسمى «يبوس» أو «مدينة اليبوسيين» كما جاء فى سفر القضاة (١٩) . وفى هذا الموضع نجد نصاً يستحق الانتباه . حين يقول فى سياق القصة التى يرويها : ... «وفيما هم عند يبوس ، وقد انحدر النهار جداً . قال الغلام لسيده : تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت

فيها . فقال له سيده : لا نميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بنى اسرائيل هنا» .

وسنرى ان المدينة المقدسة ظلت إلى عهد داود لليبوسيين . سكانها الأصليين من شعب فلسطين . ومعروف أن داود عاش حوالى سنة ألف قبل الميلاد . وبالتالى ظلت مدينة «السلام» من أول ما لقيناها فى التوراة على أيام ابراهيم إلى تلك الفترة — نحو ألف سنة — تقاوم التسلل العبرى . والمطامع اليهودية فلا ينال الاسرائيليون منها الا بالتخريب والاحراق حيناً أو بالمساكنه والتعايش السلمى أحياناً .

ومع داود فقط تبدأ «عقدة أورشليم» مدينة الله ومدينة السلام ومدينة اليبوسيين الفلسطينيين منذ ... منذ ما قبل التاريخ كما أثبتت ذلك أحدث الحفائر التى أجريت فى المنطقة . ومن المستحسن قبل أن نخطو الخطوات الأولى نحو «أورشليم اليهود» أن نتصور بما يمكن من ايجاز والوضوح طبيعة اقليم القدس وموقعها .

تقع القدس على خط عرض ٣١° ٤٦َ ٤٥ً شمال خط الاستواء . وعلى خط طول ٣٥° ١٣َ ٢٥ً شرق جرينتش : وهى هضبة غير مستوية تماماً يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ ، ٢٤٦٩ قدماً . وجوها قارى صحراوى إلى حد كبير ، فالحرارة فيها قد تتجاوز ٣٠° صيفاً وقد تنزل إلى خمس درجات تحت الصفر شتاء . كما أن التفاوت فى الحرارة كبير بين النهار والليل . ومطرها شتوى متوسط ، ورطوبتها متوسطة أيضاً ، ويندر بها الثلج . وليس بها أنهار ، وانما تحيط بها عيون كثيرة تتفاوت فى غزارة الماء وصلاحيته للشرب ، وتندفع من بعض هذه العيون جداول موقتة بطول الأمطار . وكانت المدينة إلى عهد ليس بالبعيد تعتمد أساساً على تجميع مياه الأمطار فى صهاريج وآبار أعدت لهذا الغرض . وأعلى مرتفعاتها يوجد على حافاتها الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية . ولذلك اعتبرت منذ القدم موقعاً استراتيجياً قوياً جداً واشتهرت بأنها لا تظهر عند الزحف عليها من بعد .

بينما تستطيع حاميتها أن تكشف تحركات المهاجمين لها وهم ما يزالون على مسافة طويلة .

وأهم جبالها هي :

١ - جبل الزيتون :

وهو المواجه لأسوار الحرم من الجهة الشرقية ، يفصله عنه واد عميق سريع الانحدار هو «وادي قدرون»،وامتدادهما من الجنوب إلى الشمال . وهو من الوجهة التاريخية من أهم الجبال المحيطة بالقدس . والتلمود يسميه «جبل المسح» أى جبل التتويج . لأنهم يأخذون من زيتونه الزيت المقدس الذى يستعمل فى تتويج ملوكهم ، وعليه كانت تحرق بقرة القربان الحمراء (فى التلمود . وهى فى القرآن «صفراء فاقع لونها») ، وكانوا يستخدمون الرماد المتخلف عن احراقها فى تطهير الهيكل واعادة تكريسه إذا دنس ، وهى عادة وثنية منتشرة فى هذه المنطقة قبل نزول الديانات السماوية . وفى أسفل هذا الجبل توجد حديقة المعصرة «جتسمانى» التى اكتسبت ذكريات قدسية لدى المسيحيين من صلاة يسوع عندها وهو فى النزع الأخير . وفى أعلاه مغارة التى فيها المسيح بعض تعاليمه ، والتقى بحوارييه قبل صعوده إلى السماء . وعليه بكى المسيح على «أورشليم» . وحياه المؤمنون به بالأغصان الخضراء يوم أحد السعف الذى يتقدم الفصح . والعرب يسمونه اليوم «جبل الطور» .

٢ - جبل بطن الهوا :

وهو امتداد جبل الزيتون فى الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس يفصله عنها «وادى سلوان الذى يتصل فى هذه النقطة نفسها بوادى قدرون . ويسميه اليهود «هارهامشحيت» أى «الجبل الفاضح» ، ويزعمون أن سليمان أقام عليه المعابد الوثنية لنسائه الاجنبيات . وأنه هو المقصود فى سفر الملوك الأول ١١/١ - ٨ : وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات وعمونيات . وأدوميات . وصيدونيات ، وحيثيات . من الأمم

الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالحب ، وكانت له سبعمائة من النساء الحرائر وثلثمائة من السرارى . فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتروت الاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين : وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان معبداً لكموش . رجس المؤابيين . على الجبل الذى تجاه اورشليم . ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الأجنبيات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لالهتهن» .

٣ — جبل صهيون :

فى الجنوب الغربى للقدس القديمة . وكانت عليه قلعة اليبوسيين التى انتزعها داود منهم بالحرب ، ثم نقل اليها قاعدة حكمه التى كانت حتى السنة الثامنة لتوليه الملك فى جبل «جرزيم» بالقرب من نابلس شمالا ، وسماه منذ هذا الوقت «مدينة داود» . وكان يفصل جبل صهيون قديماً عن هضبة القدس جبل أقل ارتفاعاً يمتد منحنياً على شكل هلال إلى الشمال الشرقى من صهيون ، وكان يمر بين الجبلين واد ضيق كان يسمى حسب قول المؤرخ اليهودى يوسفوس (من القرن الأول الميلادى) «وادى الجبانة » التيروبيون» أى صانعى الجبنة ،وكان يمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى حيث يتصل بوادى سلوان ،الذى يتصل بدوره بوادى قدرون شرقاً . وهذا الجبل الصغير لم يرد له اسم خاص فى الكتاب المقدس ، ولكن فى عهد الملك اليونانى السلوقى انطيوخوس الرابع (ابيفانوس) الذى حكم الشام من ١٧٥ إلى ١٦٤ ق . م . ثار اليهود على حكمه فحضر وقمع ثورتهم وبنى على هذا الجبل الصغير المواجه للقدس من الغرب قلعة سماها «أكرا» ومن ثم أصبح هذا الجبل يسمى :

٤ – جبل اكرا

٥ – جبل موريا

أو جبل بيت المقدس : أو بالاختصار «الحرم» حيث المسجد الاقصى وقد ورد اسم «موريا» فى التوراة (التكوين ٢٢/٢) فى قصة الذبيح الذى أمر الله ابراهيم أن يقدمه قرباناً وحدد له هذا الموضع ليذبح فيه ابنه اسحق والموضع ما يزال حتى الآن محل خلاف كبير فى هذه القضية بين الباحثين وبين اليهود أنفسهم ، فاليهود السامرة يرون أن الحادثة كانت على جبل جرزيم القريب من نابلس ، حيث قام أقدم هيكل لبنى اسرائيل وهو الذى جاء داود فأبطله وعطله بعد أن نقل عاصمته إلى القدس ، أما طوائف اليهود الأخرى فتزعم أن وقفة ابراهيم بابنه كانت على هذا الجبل بالقدس ، وعلى الصخرة الشريفة بالذات . وأكثر المسلمين يعتقدون أنه اسماعيل .

٦ – جبل رأس المشارف ، سكوبوس :

ويسميه التلمود «جبل المراقبين» (هارهاصوفيم)وهو امتداد لجبل الزيتون من الشمال الشرقى إلى الشمال ، يفصل بينهما منخفض يسمى « عقبة الصوان » .

٧ – ويبدو أنه كان فى قديم الزمان جبل يقوم بين جبل سكوبوالس وبين هضبة الحرم «جبل موريا» ذكره يوسفوس فى كتابه (حرب اليهود – الجزء الأول ، الباب الخامس) وسماه «بيزيتا» أى «بيت الزيتون» أو « منبت الزيتون» . ولما تولى «اجريبا الأول» (٤١ – ٤٤ ميلادية) وهو من أسرة هيرودس التى اهتمت كثيراً بتجميل القدس كما سترى ، ردم ما بين « جبل موريا» وجبل «بيزيتا» ومد أسوار المدينة إلى ما وراء هذا الجبل الأخير بحيث أصبح حيا من أحياء القدس كان يسمى «المدينة الجديدة» .

وعلى ذكر هذا الردم بين جبلين فقد حدث فى القدس نفسها قبل ذلك ، فى حكم الأمير اليهودى المكابى شمعون من أسرة الحشمونيين التى كانت تحكم

فلسطين حكماً دينياً من قِبَل اليونان . نقول فى هذا الوقت (سنة ١٤٠ ق . م.) قام شمعون بردم ما بين تل «اكرا» حيث قلعة انطيوخوس السلوقى وبين جبل الحرم «موريا» بحيث صارا شيئاً واحداً أيضاً .

وهكذا إذا أخرجنا جبل الزيتون وامتداده جنوباً وشمالا . لانفصاله التام عن القدس بالمنخفضات والوديان الشرقية والجنوبية والجنوبية الشرقية وأخذنا فى الاعتبار أن جبل الحرم «موريا» أصبح يضم جبل «بيزيتا» من الشمال الغربى ، وجبل «اكرا» من الجنوب الشرقى ، أمكننا أن نقول أن المدينة كانت تقوم بهذا الشكل على مرتفعين اثنين هما هضبة «الحرم . وقبالتها فى الجنوب الشرقى «جبل صهيون» يفصل بينهما جزء من وادى الجبانه «تيروبويون» . وهذا ما لاحظه المؤرخ اللاتينى تاسيت فى كتابه (الجزء الخامس) .

ويذكر يوسفوس أيضاً أنه كانت هناك قنطرة تربط هضبة الحرم «جبل موريا» بالزاوية الشمالية الشرقية لجبل صهيون حيث كان يوجد كورنيش يقال له باليونانية (كسيستوس) وهذا العمل يرجع أيضاً إلى أمراء الحشمونيين الذين حكموا باسم اليونان فى فلسطين ، فهم الذين ردموا جزءاً من الوادى وبنوا قنطرة قائمة على عقود مقوسة توصل من «مدينة داود» على جبل صهيون إلى «الحرم» على جبل موريا وهو الطريق الذى يمتد الآن من الحرم إلى باب السلسلة .

ولا نستطيع وقد أوضحنا مواقع جبال القدس وما طرأ عليها الاأن نشير إلى المنخفضات أو الوديان الفاصلة بينها مجتمعة بعد أن سبقت الاشارة لبعضها فى مواقعها .

١ — وادى قدرون شرقاً :

وهو اسم جدول الماء الذى يجرى فى قاعه عندما يسقط المطر ، وقد

اشتهر باسم «وادي يهوشافاط» (سفر يوئيل ٣/٢ . ١٢) وطوله نحو كيلو مترين يفصل السور الشرقى للقدس عن جبل الزيتون . ويعتقد كثير من الطوائف المسيحية واليهودية أن الحشر يوم القيامة سيكون فى هذا الوادى اعتماداً على قول النبى يوئيل : «أجمع كل الأمم وانزلهم إلى وادى يهوشافاط وأحاكمهم هناك» ؛ وفى الموضع الثانى الذى أشرنا اليه يقول النبى يوئيل «تنهض الأمم وتصعد إلى وادى يهوشافاط لانى هناك أجلس لأحاكم جميع الأمم من كل ناحية» .

٢ — وادى سلوان جنوباً :

وهو اسم النبع الموجود فى هذا الوادى . والذى ينساب منه مجرى ماء اسمه جيحون ، أما الوادى نفسه فكان يحمل قبل مجىء العبريين اسم قبيلة «هنم» بتشديد النون : فكان يقال «وادى هنم» أو «وادى بنى هنم» وكلمة الوادى كانت فى لغات سامية قديمة متعددة هى كلمة «جى» ، فكان يقال «جيهنم» أى هذا الوادى نفسه ، وكانت هذه القبيلة : فى الوثنية البعيدة فى القدم ، تقدم الضحايا البشرية إلى الهها « مولك» بذبحها والقائها فى النار : ومن هذه الصورة أطلق اسم «جهنم» على مكان العذاب فى الآخرة للشبه القائم بينهما . ووادى «هنم» أو «سلوان» أو «جيحون» هذا يمتد على طول جنوبى القدس حتى الطرف الجنوبى الشرقى من جبل صهيون . وسمى هذا الوادى بين العرب «حقل الدماء» .

٣ — وادى الجبانه أو «التيروبيون» :

يفصل جبل صهيون عن غرب القدس ويبدأ حيث ينتهى وادى سلوان وكان يسمى فى الجزء الجنوبى الغربى من القدس «وادى الزبالة» أو «وادى الدمن» أو «وادى القمامات» : وقد أشرنا إلى ردم جزء منه فى أعمال توسيع لجبل صهيون وللحرم المقدس الواقع على جبل «موريا» الذى هو هضبة الحرم الشريف.

٤ – وادى الأرواح :

«رفائيم» بالعبرية . أو العفاريت . يدور حول غرب جبل صهيون وأقصى الجنوب . وبه مدافن للموتى .

داود ... ومدينته

قلنا أن القدس ظلت فلسطينية فى أيدى اليبوسيين إلى السنة الثامنة من حكم داود . كان داود من الجنوب . من صحراء النقب . حيث اختارت قبيلة – سبط يهوذا – تلك الجهة مسرحاً لحياتها البدوية الرعوية . ثم انه انتقل إلى الشمال حيث كان نبى بنى اسرائيل «صموئيل» قد توج أول ملك على كل الشعب هو «شاول ».وكان داود قد الحق ببلاط شاءول . وفى هذه الآونة كان سكان البلاد الأصليين «الفلسطينيين» يريدون التخلص من الوجود «العبرى» فى بلادهم . وكانت الحرب سجالا بينهم وبين الاسرائيليين وبرز من الفلسطينيين بطل عملاق عنيف هو «جالوت» استطاع داود أن يقتله بحجر أطلقه من مقلاع . ثم قطع رأسه بعد ذلك ، وأخذها ليفخر بانتصاره فى الجنوب . ومر بها على أورشليم . ومنذ هذا الوقت بدأت شعبية داود فى الاتساع حتى بات الملك شاءول نحقد عليه ويدبر الأمر لاغتياله دون جدوى وأخيراً تعرض شاءول لهزائم ساحقة ومتعددة من «الفلسطينيين» انتهت بأن انتحر على أحد الجبال على أثر معركة فاشلة . وأصبح داود بعده ملكاً . فأراد أن يترك الشمال إلى نقطة حصينة أكثر توسطاً من حيث الموقع ، فوجد مطلبه هذا فى «مدينة اليبوسيين» اورشليم . فهى قريبة من ديار سبط يهوذا وهم عشيرة داود ، وهى وعرة المسالك للقادم من الأردن أو من البحر أو من الشمال على السواء . وهى حصينة غير مكشوفة للغزاة : ثم انها بعد كل هذا فى وسط عشائر فلسطينية قديمة يبدو أنهم كانوا أكثر ميلا إلى المسالمة من أهل الشمال .

بدأ داود بالاستيلاء على جبل صهيون . وكانت فيه قلعة أمامية لليبوسيين يدافعون منها عن القدس ؛ وكانوا يسمون جبل صهيون بالمنشآت القائمة

عليه «المدينة الفوقانية» . بالنسبة لهضبة الحرم (جبل موريا) التي كانوا يسمونها «المدينة التحتانية» . استولى داود إذن على «المدينة الفوقانية» وحصنها وجعلها قاعدة لحكمه . ولما كانت أسرته هي سبط يهوذا : فمنذ هذا الوقت بدأ العبريون أو الاسرائيليون يسمون باليهود أيضاً . ولما كان داود . على طريقة امراء بني اسرائيل ورؤسائهم في العصور القديمة . وعلى طريقة الكثير من الحكام القدماء . يستمدون سلطتهم من «الله» . فقد جعل من صهيون مقر السلطة الدينية والسياسية والعسكرية جميعاً . ولم نجد غلاة المتعصبين من اليهود في العصر الحديث تسمية أكثر سحراً في آذان فقراء اليهود وبسطائهم من «الصهيونية» وما تقترن به من قوة داود وشدة شكيمته وأبهة سليمان وبهاء عظمته وفخامته على عرشه الاسطوري العجيب: فاختاروها اسما وشعارا .

ظل داود يضغط على اليبوسيين . ويضايقهم في جبلهم (موريا) ويريهم صنوف الاذلال . وهم يرحلون تاركين له ديارهم حتى لم يبق الا سطح القمة ، فكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة . ملكاً لليبوسى «آرونا» يتخذه جرنا ومربضا لماشيته . فاشتراه منه داود بما فيه من المواشي . وقالوا في عنعنات شفوية يهودية لا يقوم عليها أى دليل . ان داود جعل من الصخرة التي على الهضبة مذبحاً للرب . وصاغوا حول ذلك أساطير لا تكاد تنتهي حتى قالت بعض نصوص التلمود (توسفتا — يوما / ٨٤ . ٨) ان الله تعالى خلق الأرض ابتداء من هذه الصخرة » وقال أحد أحبارهم وهو اليعازر البابلي «ان الصخرة هي أصل خلق الأرض . وان صهيون هو سرة العالم . وهو كامل الجمال والبهاء» (التلمود البابلي — يوما / ٥٤ د) . وجاء في كتاب «زوهر» وهو من كتب التصوف اليهودى المشهورة ، ان يعقوب نام على الصخرة وهو منطلق من بيت أبيه أسحق » بينما المعروف أنه نام في «بيت ايل» قرب نابلس . ولكن هذا التحريف يهدف إلى نقل قدسية «بيت ايل» المجاورة لنابلس . والتي ظل اليهود السامريون على وفائهم لها كقبلة ليعقوب . إلى أورشليم .

والحق أننا لا ندرى أية صخرة يعنى اليهود ، فالتلمود يذكر أن الصخرة التى يقدسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع (التلمود – يوما/ ٨٥ – ٣ . ٤ . توسفتا ٨٣/٦ وموسى بن ميمون فى كتابه «طقوس يوم الغفران») بينما الصخرة الموجودة حالياً ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل . ومحيطها يناهز العشرة امتار ، وتحتها فجوة هى بقية مغارة قديمة عمقها أكثر من متر ونصف ، تبدو الصخرة فوقها وكأنها معلقة بين السماء والأرض . وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار .

ومن الذين شكوا فى أن تكون الصخرة الشريفة هى الصخرة المعنية فى التلمود ، الباحث الألمانى «شيك» فى أوائل هذا القرن . فهو يقول ان الصخرة الحالية ربما كانت على أكثر تقدير أحدى ركائز المذبح الخاص بالقرابين فقط . ولم تكن فى يوم ما داخلة «ضمن» قدس الاقداس» . أما صخرة اليهود التى يسمونها بعد أساطير التلمود التى أشرنا اليها «ابين هاشتيا» – أى حجر الاساس – فالله أعلم ماذا صنع بها بختنصر وانطيوخوس ابيفانوس وتيتوس وفسبازيان وهدريان والصليبيون وغيرهم ممن دمروا أورشليم مراراً وتكراراً تدميراً كاملا .

والعجيب فى أمر الباحثين اليهود ، وفى مقدمتهم دوائر المعارف العبرية المختلفة وماكتبوه من المؤلفات عن القدس ، انهم إذ يؤكدون بدون أية حجة أن الصخرة الشريفة هى «حجر الأساس» المذكور فى التلمود ، ينفون نفياً باتاً أن تكون كنيسة القيامة بالقدس ذات علاقة أيا كانت بجسد المسيح عليه السلام ، فدائرة المعارف الاسرائيلية العبرية المنشورة فى نيويورك سنة ١٩١١ تقول فى هذا الصدد أن دفن الموتى داخل أسوار القدس كان لا وجود له اطلاقاً ، وان أقرب المقابر إلى أسوار القدس هى مقابر «سامبوسكى» عند قدم جبل صهيون من الطرف الجنوبى الشرقى خارج السور مباشرة ، والمقابر المذكورة تحمل اسم العائلة التى بنت فيها مدفناً كبيراً فى العصر الحديث ، وقد عثر فيها على مقابر قديمة أيضاً ، وأضاف كاتب البحث

إلى ذلك أنه طيلة عهد الهيكل الثانى» (أى من القرن الخامس قبل الميلاد إلى سنة سبعين ميلادية) لم يدفن أحد داخل أسوار المدينة المقدسة . وبناء على ما ذكر يكون مستحيلا فى رأيه أن يكون الجسد المصلوب قد دفن فى هذه البقعة التى هى من صميم أورشليم وفى داخل أسوارها .

ولا نريد أن نناقش الأمر «بيزنطياً» وانما نشير إلى أن المسيح وأتباعه لم يتمسكوا من الشريعة القديمة الا بالناموس الموسوى والأوامر والنواهى التى أبلغها الانبياء ، أما «التلموديات» التى لا تعد ولاتحصى فقد كانت رسالة المسيح فى جوهرها ومنطوقها تنادى وتجاهر بابطالها وتطهير العقول منها . حتى لا يخضع الشعب اليهودى خضوعاً أعمى لظلامها المطبق . الذى تفرضه السلطة الكهنوتية اليهودية على الشعب البسيط المخدوع المحروم من النور الحق وما دام الأمر كذلك : فما الذى يفرض على أتباع المسيح فى عشية الصلب . وأيدى كهنة التلمود ما تزال مخضبة بدمائه . أن يحترموا عرفاً لا يستند إلى أمر أو نهى من الله ؟ ثم ان الحفائر المختلفة ما تزال كل يوم تكشف عن موتى لا يحصى عددهم وجدت عظامهم داخل الأسوار .

مدينة داود ... بعد داود

ورث سليمان داود . وكان ملكاً يحب الفخامة ويميل إلى حل مشاكل السياسة والاقتصاد حلولا دبلوماسية لا يلجأ فيها إلى قوة السلاح . فصاهر جيرانه مبتدئاً بالقصر الفرعونى فى مصر اذ تزوج ابنة فرعون . ثم غيرها وغيرها من بنات الملوك والحكام المحيطين بمملكته الصغيرة . وحاول أن يجعل عاصمة ملكه — أورشليم — لا تقل عظمة وعمرانا عن العواصم الكبرى فى الشرق فى زمانه : فبدأ بتشييد سور فاخر حول المدينة : ثم أخذ فى بناء المعبد الكبير — الهيكل — الذى كان أبوه داود قد بدأه قبل موته . ومع ذلك فان الاخبار الاسطورية عن فخامة هذا الهيكل وضخامته لا يمكن أن تكون قد نجت من شطحات الخيال اليهودى الحالم فجاءتنا مبالغاً فيها أشد المبالغة . وهكذا يقول الكاتب اليهودى الأمريكى لويس براون فى كتابه المسمى

«حياة اليهود» ان انجازات سليمان فى أورشليم . وفى مقدمتها قصره الملكى كانت تبدو فى عيون اليهود السذج من رعيته فخمة فخامة تفوق التصور . مع أنها لو قورنت بالقصور الهائلة فى مصر أو بابل أو الهند لبدت ضئيلة سمجة الذوق .. كان القصر مكوناً من عدة أبنية منفصلة : بناء للصناع ، وقاعة للاجتماعات ، وبهو للعرش . والمحكمة العليا ، و «حرملك» كبير يكفى لسكنى المئات من نسائه . وكان هناك أيضاً معبد . وهو بناء صغير طوله مائة قدم وعرضه ثلاثون قدما . موضوع فيه «تابوت العهد» – هذا الصندوق الذى تحفظ فيه التوراة ولا شك أن المعبد كان بالنسبة لسليمان مشروعاً أقل أهمية من القصر ، كان مقصورة دينية فى بلاط الملك ، ولذا لم يستغرق بناؤه أكثر من نصف الوقت الذى استغرقه بناء القصر . ولكنه مع مرور الزمن ، وبعد الكهنة والانبياء الذين وفدوا عليه على طول حكم أسرة داود ، كان يتخذ فى خواطر اليهود مكانة ، وكانت له من بعد ذكريات ، ربما لم يستطع شيء آخر على هذه الأرض أن يضمن مثل ما استطاع هو بقاء اسرائيل عليها . مع أنه كان فى حد ذاته أصغر من أى معبد يهودى فى أمريكا الآن ، ومن كثير من كنائس الارياف المنتشرة فى انحاء العالم . بالرغم من هذا فانه أقوى بناء شيدته يد الانسان من حيث عمق أثره وقوته . وما يقوله لويس براون صحيح ، بل ربما كان دون الابعاد الحقيقية لسيطرة هذا الهيكل على نفوس اليهود وخيالهم ، بعد تدميره واندثاره . وحتى الآن اقترنت أورشليم به ، وتقدس لدى اليهود من أجله وإذا ذكر اسمها فالمراد هو أولا وقبل كل شيء ، وما كتبه الكتاب والاحبار من شطحات خيالهم حول ذلك شيء تضيق عنه مئات المجلدات . بحيث كان كل اليهود فى حاراتهم القذرة وأسمالهم البالية : على الثلج ، وفى الوحل ، يعيشون فى هيكل أورشليم مع سطور التلمود ومع كتابات الاحبار ، وكانت صيغة المعايدة الدائرة على ألسنتهم – وخاصة فى عيد الفصح – هى «السنة القادمة فى أورشليم» وهو شعار استغلته الصهيونية . وكهربت به أعصابهم ، وأعطته كل المعانى الحربية والعسكرية الممكنة . ولنذكر نموذجاً واحداً من هذه الشطحات الكهنوتية اخترناه من كتاب التصوف اليهودى «زوهر» ٢/ ٢٢٢ : « عند خلق العالم ، ألقى

الله حجراً كريماً من عرشه العظيم فى الفضاء المظلم ، فغطس فيه جزء من هذا الحجر وبرزت بقيته فوق السديم . وهذه البقية البارزة كنقطة فى هذا الفضاء اللانهائى بدأت تمتد فى كل الاتجاهات عن يمين وشمال ، وأرسيت الدنيا عليها ، ولذلك يسمى هذا الحجر «حجر الأساس» ، وكان تكوين الأرض حوله على ثلاث مراحل: المرحلة الأوه عبارة عن منطقة مستديرة حول الحجر ، نورانية شفافة ، والثانية من حولها مصنوعة من مادة أقل شفافية ولكنها أكثر رقة من الأرض ، والثالثة أرض معتمدة ، يطوقها المحيط الذى يدور حول العالم . وهذه المناطق الثلاث ممثلة فى الهيكل الذى فى أورشليم : فالمنطقة النورانية ، وهى النقطة العظمى ، عبارة عن الهيكل ومدينة أورشليم ، والثانية، الأقل شفافية هى الأرض المقدسة «فلسطين» : والثالثة المعتمة هى بقية العالم حيث تسكن الأمم غير اليهودية من الكفار. أما المحيط الذى يدور بكل شىء فهو مملكة الجن التى تحيط بالعالم . ولم تر الدنيا قط شيئا أجمل من ستائر تابوت العهد . وعندما أدخل تابوت العهد إلى الهيكل صاح بآية المزامير ١٤/١٣٢ : هذا مستقرى إلى الأبد وهنا سوف أقيم . وكان صوت الروح القدس يردد هذه الكلمات على مسامع اسرائيل . »

ولولا الهيبة التى يجب اصطناعها أمام مقدسات الناس جميعاً تأدباً واحتراماً لمشاعرهم لعبرنا عن رأينا بصراحة فى مثل هذه الشطحات. وان كان لا يغيب عن البال ما يهدف اليه الراوية لهذا اللون من الأدب الشعبى من تأكيد العنصرية البغيضة التى اخترعها «شعب الله المختار» وكان أول من اصطلى بنارها أيضاً ، ومن تأكيد البقاء الأبدى فى «أورشليم» : بينما المسكين قد عاش نائباً غارقاً فى «المنطقة المعتمة» القريبة من «مملكة الجن» المحيطة بالأرض ... رحمه الله ..

وما كاد سليمان يلقى ربه حتى حدثت حرب أهلية بين الاسباط وانقسمت المملكة شطرين . وأصبح الهيكل وأورشليم قبلة لنصف العبريين فقط .

ثم تعرضت القدس مباشرة لهجوم الجيش المصرى الفرعونى (حوالى سنة ٩٧٠ ق . م) . وهى تحت حكم «رحبعام بن سليمان» . وتوالت عليها بعد ذلك الهجمات المتلاحقة : من الادوميين فى الأردن إلى العرب إلى الاراميين

إلى الاسرائيليين فى مملكة الشمال . عندما هاجم يهوآش ملك اسرائيل أمصيا ملك أورشليم ويهوذا وهدم أسوارها وأخذ ما فى الهيكل من الذهب والفضة والأوانى . ونهب القصر وأخذ بعض الرهائن وعاد إلى السامرة (الملوك الثانى ١٤/١٤) .

وتكرر الزحف المصرى على أورشليم فى حكم الفرعون نخاو ، وكان ملك يهوذا يهو آحاز (حوالى ٦١٠ ق . م .) .

ثم انتعشت أورشليم فى عهد الملك عزيا هو الذى حكم أكثر من نصف قرن من الزمان . وكان مهتما بتحصينها فبنى حولها أبراجاً وحفر آباراً وأنشأ البساتين والحدائق (اخبار الايام الثانى ٢٦) . واستمر انشاء البوابات والتحصينات على عهد ابنه يوثام .

وتبلور الخطر الاشورى على القدس فى عهد سنحاريب الذى كان معاصراً لحزقيا ملك يهوذا . فأخذ هذا الأخير فى زيادة التحصينات بالقدس وقام بردم آبار الماء التى فى خارجها حتى لا ينتفع العدو بها وكذلك الجداول الجارية منها ، ودعم السور فى المواضع المتهدمة منه وحصن قلعة داود على جبل صهيون . وقام بمشروع هندسى ناجح أجرى به مياه نهر جيجون الذى يجرى جنوباً خارج القدس تحت الأرض إلى داخل المدينة . وأنشأ صهاريج للماء ، وهكذا استطاع أن يواجه الحصار الاشورى دون أن يضطر إلى الاذعان .

الخراب الاول ، والهيكل الثانى

كان بختنصر ملك بابل يحاول أن يسوى حساباً قديماً مع فراعنة مصر ، ولكنه فى كل مرة يجد عقبة ما فى فلسطين تظهر له فجأة من قبل اليهود فيبوء بالفشل ، وأخيراً (سنة ٥٨٨ ق . م .) هاجم القدس بعد أن كان استولى على أهم اجزاء فلسطين ، ومنها غزة فى أقصى الجنوب : وكان ملك يهوذا فى ذاك الوقت «صدقياهو» ، ولما سقطت القدس بعد مقاومة رهيبة أحرقها الجيش البابلى وخربها ونهبها ، وأخذ معظم أهلها أسرى إلى العراق

حيث بقوا سبعين عاماً ، إلى ما بعد نجاح الامبراطور كورش ملك الفرس في احتلال العراق واسقاط الامبراطورية البابلية ، وقد لقي جيشه بطبيعة الحال كل التسهيلات اللازمة لمهمته من قبل اليهود الموتورين المحتجزين في العراق . فسمح على الفور بعودتهم إلى فلسطين وتأسيس «وطن قومي» تحت رعايته وحمايته داخل ملكه وسلطانه . فعاد كثير منهم برئاسة يوشع بن يوصدق وزروبابل بن شلتئيل وبعدهما بثمانية عشر عاماً جاء عزرا ونحميا ، الذي أخذ في اعادة بناء هيكل سليمان (يقول الرواة : بصورة أقل فخامة . ولعل ذلك من فرط اعجابهم الخيالي بهيكل سليمان فقط) .

وفي سنة ٣٣٢ ق . م . احتل الاسكندر فلسطين وادخلت تحت الحكم اليوناني ، ولكن أحد أحبار اليهود وهو «شمعون بن حونيو» استطاع بدبلوماسيته أن يحوز رضا الاسكندر وأن يظفر منه بمزيد من العناية بتجسيل القدس (التلمود . يوما) . وبعد موت الاسكندر استولى بطليموس الأول «سوتير» على أورشليم حوالي سنة ٣١٠ ق . م . . وأخذ كثيراً من أهلها أسرى إلى الاسكندرية .

ثم زحف عليها ملك سوريا انطيوخوس السلوقي اليوناني سنة ٢٠٣ . وعاد فاستردها منه القائد البطلمي « سكوباس » المصري سنة ١٩٩ . والظاهر أن اليهود في المدينة كانوا أميل إلى حكم السلوقيين ، وقد ساعدوا انطيوخوس على دخول القلعة . كما يقول يوسفوس . ومباغتة المصريين فيها . وبسبب ذلك خفف انطيوخوس الضرائب عن يهود القدس ؛ واهتم بعمارة الهيكل والمدينة وتدعيم حصن داود . ويصف اليوناني أرسطياس ؛ المعاصر لهذه الأحداث . فخامة القدس بما يبين أنها كانت مدينة كبيرة لها أسوار وعليها ابراج . والخدمة الدينية في الهيكل كانت على أرفع نظام . وكان عدد السكان مائة وعشرين ألفاً . وتعود اليهود بعادات اليونان ؛ وتركوا الرب . وظهرت فرقة «ياسون» وأخيه «منيلاوس» . وقالا بأن منصب الحاخام الأكبر يجب أن يكون بالوراثة لا بالانتخاب وحدثت فتنة كبيرة ؛ انتهزها الحاكم السوري انطيوخوس ابيفانوس فزحف على أورشليم سنة ١٧٠ ق . م . ونهبها وذبح كثيراً من يهودها .

وبعد ذلك بعامين هجم قائده ابولونيوس على المدينة مرة أخرى فأكثر فيها من القتل والتخريب واقتحم الهيكل وأقام فيه تمثال انطيوخوس ، وبنى بجواره مسرحاً للتمثيل وأخذ معه رهائن من يهود القدس . فقام من أمراء المكابيين اليهود الحشمونيين «متياهو» ثائراً ضد اليونان هو وأولاده الخمسة ثم أتم يهودا المكابى هذه الثورة بطرد اليونان من الهيكل ، ومن جزء كبير من المدينة سنة ١٦٥ ق . م . وواصل هذا الكفاح شمعون المكابى ، ففى سنة ١٤٣ طرد الحامية اليونانية من قلعة داود «صهيون» .

وعاد اليونان بقيادة انطيخوس السابع (سيديتاس) فى عهد يوحنا هرقانوس المكابى فاتقى هذا الأخير شره بتقديم قوالب من الذهب استخرجها من قبر داود . يقول يوسفوس ان وزنها كان٧٥ طناً ، ثم حدث نزاع على العرش بين هرقانوس وأخيه أرسطوبولوس فى داخل القدس .

اورشليم وروما

أثناء هذه الفترة زحف القيصر الرومانى «بومبى» على فلسطين واحتلها سنة ٦٦ ق . م . وقتل من اليهود فى القدس وحدها ١٢.٠٠٠ ؛ بينما كان اليهود يخربون كل شىء بأيديهم ويحرقون المدينة كلها بالنيران حتى لا ينتفع بها العدو .

وبعد مدة وجيزة كثرت الاضطرابات فى أورشليم . فزحف عليها حاكم سوريا الرومانى «لوقيانوس كراسوس» ؛ ودخل الهيكل ونهبه ، وكان ما فيه من الذهب والفضة والانية الثمينة يقدر بنحو خمسين طناً .

وزار يوليوس قيصر فلسطين ؛ فأذن لليهود فى بناء الأسوار التى كان بعضها قد تهدم .

وفى هذه الاثناء كان هؤلاء «الأمراء» من أواخر المكابيين ما يزالون يتنازعون على السلطة ، أو ما بقى لهم منها ، فى أورشليم ؛ وهى سلطة أخذ الزكاة من اليهود ، وادارة القضاء بينهم ، وتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم ... أمارة كاريكاتورية تأخذ من اليهود الزكاة بيد وتصلبهم باليد الأخرى .

وانتهز هيرودس الادومى فرصة هذه المنازعات وزحف على المدينة سنة ٣٧ ق . م . يساعده القائد الرومانى سوسيوس : فحاصراها وصبا عليها قذائف المنجنيق واقتحاها وقاما فيها بمذبحة رهيبة .

وافق القيصر الرومانى أغسطس على تعيين هيرودس على القدس «وكل بلاد اليهودية» أى النصف الجنوبى من فلسطين . فاهتم باعادة تخطيط المدينة وتدعيم اسوارها ، وتزويدها بأبراج حصينة للحراسة . لاسيا فى النقطة الضعيفة استراتيجياً من المدينة وهى الغرب والشمال الغربى حيث أحياء القدس الحديثة الآن . فأقام فى هذه الجهة برجاً سماه برج «هيبيكوس» باسم واحد من اصدقائه قتل وهو يحارب فى صفوفه فى احدى المعارك . وهذا البرج هو الذى يسمى خطأ الآن «برج داود» . وفى أقصى الزاوية الشمالية الغربية من السور بنى حصناً فى موضع حصن «البيرة» الذى اقيم بعد عودة اليهود من السبى ، وكان قائماً فى عهد المكابيين ثم تهدم : وسماه هيرودس حصن «انطونيا» على اسم صديقه وحاميه انطونيو (صاحب كليوباترا) — أما تسمية «البيرة» فهى فارسية معناها القلعة ، ولم تعرفها اللغة العبرية الا تحت حكم الفرس . وكان هذا الحصن مربعاً طول ضلعه نحو تسعين متراً . وفى داخله قصر عليه سور مربع آخر . تقوم عليه أربعة أبراج . ثلاثة منها ارتفاعها خمسون ذراعاً . والرابع ارتفاعه سبعون ذراعاً . وهو البرج الشمالى الشرقى أقرب هذه الابراج إلى الهيكل ؛ ومن أعلى هذا البرج كان جنود الاحتلال الرومانى يراقبون ما يجرى داخل معبد اليهود : الذى حظى من هيرودس أيضاً بالعناية فأعاد بناءه وزخرفته . وفى الجهة الجنوبية الشرقية استقر الملك المتهود «مونوباز» وأمه المتهودة أيضاً «هيلانه» . وكانا يحكمان قبل تهودهما مقاطعة أديابين فى بلاد الاكراد ، شمال شرقى سوريا ثم تهودا ولجآ إلى أورشليم فبنيا إلى الجنوب من جبل صهيون قصوراً ومقابر فى غاية الاتقان .

كان اليهود فى أورشليم لا يكفون عن مناوشة الحامية الرومانية المعسكرة فى قلعة انطونيا . فأمر «أجريبا الأول» الموظفين الرومان بأحكام الرقابة على اليهود والتشدد فى معاملتهم : ووصل الحقد إلى أقصاه بين الطرفين أثناء

دعوة السيد المسيح : والفتنة التى احدثها الكهنوت اليهودى حينئذ : وكان القيصر كليوديوس قد أمر – نكاية فى اليهـــــود – بوضع تمثال لنفسه فى الهيكل ، بقى فى مكانه إلى أن مات هذا القيصر مسموماً سنة ٥٤ بعد ميلاد المسيح .

الخراب الثانى – والاخير – لاورشليم

دأب اليهود على خلق المشاكل للرومان : مشاكل ومضايقات صغيرة كانت متلاحقة ومفاجئة . فقرر الامبراطور الرومانى فسبازيان القضاء عليهم ، وحل المشكلة كلها هذا الحل الجذرى الدامى ، فأرسل ابنه تيتوس على رأس جيش كبير للقيام بهذه المهمة ، وبعد مؤامرات كثيرة قام بها اليهود واستعملوا فيها كل شىء ، حتى النساء ، فى تليين عريكة تيتوس دون جدوى ، تم تخريب أورشليم فى ٨ ديسمبر سنة ٧٠ ميلادية واجلاء جميع اليهود عنها ، وهو «السبي الثانى» الذى ظلوا فيه من هذا التاريخ إلى سنة ١٩٤٨ عندما أعلن حاييم وايزمان قيام «اسرائيل» .

ولكن بالرغم من أن تيتوس قد بذل أقصى الجهد فى جعل عودة اليهود إلى سكنى القدس أمراً مستحيلا . فان من بقى منهم فى فلسطين لم يكف عن التآمر ضد الرومان .

ايليا كابيتولينا ... لا اورشليم

وفى القرن الثانى الميلادى ، سنة ١٣٦ . قام «بركوكبا» ، أحد نماذج الصهيونية القديمة ، بثورة مسلحة ضد الرومان . وسجل عليهم ، رغم جيشهم الامبراطورى الجرار – انتصارات براقة فى البداية ، ولكن الامبراطور الرومانى ايليوس هدريان قام آخر الأمر باتمام ما بدأه تيتوس ، فحاصر ما كان بقى من القدس ، وهدم كل شىء فى المدينة ، ولم يترك فيها يهودياً واحداً ، وجاء إلى مكان الهيكل فأقام عليه معبداً لجوبيتر كبير آلهة الرومان ، ووضع فيه تمثالا لهذا الاله كالتمثال القائم فى معبد الكابيتول ، وقرر تغيير كل شىء فى هذه المدينة ، حتى اسمها : الذى أصبح مكوناً من

اسمه هو واسم الكابيتول معبد جوبيتر الكبير . فسماها «ايليا كابيتولينا» ومنع اليهود من دخولها ؛ وجعل الموت عقوبة من يقدم منهم على ذلك ، ثم سمح لهم بالمجيء اليها يوماً واحداً في السنة . والوقوف على جدار : بقى قائماً من السور في الجزء الغربي من المدينة . وهو الذى يسمى «حائط المبكى» ويسميه اليهود «الجدار الغربي» وظل حظر السكنى بالقدس قائماً على اليهود قروناً طوالا . فقد ذكر ذلك يوزيبوس . المؤرخ المسيحي الذى زار «ايليا» — القدس — سنة ١٣٢ ميلادية ؛ كما ذكره اليهود انفسهم في تفاسيرهم القديمة «المدراش» (سفر الجامعة — قوهيلت ربا) .

دموع التماسيح على حائط المبكى

كان الاتقياء الطيبون من اليهود ؛ وفيهم اتقياء طيبون . يقفون على «الجدار الغربي» باكين . طالبين الرحمة من الله ، والمغفرة لذنوبهم وذنوب أسلافهم : التي بسببها دمر الله ملكهم مرتين : على يد بختنصر البابلي وتيتوس الروماني . أما كهنة السياسة الصهيونية عبر العصور فجعلوا هذا الحائط «مسمار جحا» . يتخذونه منطلقاً لكل دعوة عنصرية جديدة . ولذلك زعم بعضهم أنه بقية من سور داود ؛ وقال آخرون أنه جزء من حائط سليمان ونسبه البعض إلى المكابين أو هيرودس . وقد قام الاثريون الاسرائيليون بعد حرب يونيو ١٩٦٧ بعمل حفائر في أساس الحائط . فكان أقصى ما عثروا عليه ، في الحجارة التي تحت الأرض . آيتين من سفر النبي اشعيا محفورتين خط يجعل نسبة هذه الحجارة لداود أو سليمان مستحيلة . ويرجع العثور على هذا النص إلى الشهور السابقة لاحراق المسجد الأقصى . ولأن الكشف لم يكن دسماً من الناحية السياسية كما يريد الصهاينة . فقد وضعوه في «قبر السكوت» كعادتهم في كثير مما لا يريدون أن يعرفه العالم عنهم .

ولكن الذى لا شك فيه هو أن هذا الحائط جزء من سور المعبد اليهودى وقد يرجع على أكثر تقدير إلى أيام هيرودس . أى إلى فترة ميلاد المسيح . وتفضي اليه طريق طولها نحو ثلاثين متراً وعرضها أربعة أمتار (وقد نسف اليهود ذلك وعاثوا فيه منذ يونيه ٩٦٧) .

وارتفاع الحائط ثمانية عشر متراً عن سطح الأرض . الستة أمتار الأولى منها مبنية بحجارة مستطيلة ضخمة مثل التي يعثر عليها في أساسات السور : يضاف اليها من فوق ١٤ سطراً من حجارة أصغر يبدو أنها قد علي بها الحائط ابتداء من عصر متأخر جداً هو القرن الثاني عشر الميلادي وما بعده وأساس السور المطمور تحت سطح الأرض عبارة عن ١٩ سطراً من الحجارة المستطيلة الضخمة . وتمكن رؤية جزء من هذا الأساس من الكهف الملاصق للحائط من جهة الشمال . أما بقية السور من هذه الجهة الغربية فقد اندثرت الا بعض النتوءات التي تبرز من مسافة لأخرى ؛ وهناك ١٢ متراً من الضلع الجنوبي للسور ما تزال بارزة . وهي بقية العقد المقوس الذي كانت فوقه القنطرة من جبل صهيون إلى الهيكل . والتقاليد اليهودية لا ترى البكاء سنة عند هذا الجزء . مما يؤكد أن الأصل في هذا البكاء انما كان على معبد لا مملكة . وطلبا للمغفرة من الله لا للعون من الولايات المتحدة — ومع الزمن غلبت دموع التماسيح دموع الانتباه .

وإذا كان المبكى أثرا يهودياً يرويه اليهود بدموعهم . فهناك قبر في الجنوب لحبر من أحبار اليهود الكبار هو الربي كلونيموس التلمودي يرجمه اليهود بالحجارة تنفيذاً لوصيته . وتقول أسطورته : ان طفلا مسيحياً وجد قتيلا ؛ واتهم المسيحيون اليهود بقتله لأخذ دمه والاستعانة به في طقوس خبز الفصح حسب الاشاعة التي تتهمهم بعجن هذا الخبز بدم انسان غير يهودي فجاء الحاخام كلونيموس وقرأ ودعا على الجثة الهامدة . فبعث الصبي حيا باذن الله ، ونطق باسم قاتله واذا به مسيحي : فندم كلونيموس على معجزته التي قام بها لمن ليسوا أهلا لها في نظره . وكتب في وصيته أنه يريد أن يعاقب نفسه على ذلك بأن يمنع من وضع شاهد باسمه على قبره ؛ وأن يرجمه من يمر بقبره لمدة مائة سنة ، واكراماً للرجل فبعض الناس يرجمه إلى اليوم .

ظلت «ايليا كابيتولينا» محرمة على اليهود الاحتابة نهار فى السنة يذرفون فيها الدموع على حائط المبكى حتى ظهر الاسلام ، واستولت جيوش عمر ابن الخطاب على القدس سنة ٦٣٧ ميلادية بقيادة خالد بن الوليد وأبى عبيدة عامر بن الجراح . وفى سنة ٦٣٧ ، والجيش العربى يطوف المدينة ولايدخلها فى انتظار قدوم الخليفة . كان زعماء المسيحيين فى داخل المدينة ينتظرون أيضاً خليفة المسلمين . ومعهم مشروع معاهدة تقضى بكل ما يريده العرب بشرط الابقاء على الحرية الدينية للمسيحيين ، واحترام المشاهد المسيحية المقدسة فى البلد . واستمرار القرار الرومانى القديم بمنع اليهود من النزول بالمدينة . وقبل عمر الشروط كلها الا الشرط الأخير ، معتذراً بأن القرآن قد حدد ما لأهل الكتاب وما عليهم ، وليس فيه شىء يسمح بهذا . ولكنه تعهد لمسيحيي القدس بألا يدخل أحد من اليهود إلى مقدساتهم أو يسكن فى حاراتهم . ثم أراد أن يؤمن للحامية العربية مكاناً تعسكر فيه بالقدس فوجد أن سفح «صهيون» قد صار قذراً جداً — وقد أشرنا إلى أن وادى القمامات كان يلاصقه منذ أقدم العصور — فصعد إلى الهضبة التى كان اليهود يسمونها جبل «موريا» وأختط مسجداً بجانب الصخرة الشريفة . التى كان النبى محمد ابان حياته قد أسرى به اليها . فصلى عندها ، ودعا القرآن المكان باسم «المسجد الأقصى» . ومن ثم عرج به فى القصة المعروفة المذكورة فى القرآن .

لم يجروء اليهود . طوال أيام الخلفاء الراشدين وأوائل خلفاء الدولة الأموية . على الاستيطان بالقدس . ثم سمح لهم بذلك فى أيام الخليفة عبد الملك ابن مروان . الذى بنى المسجد الجامع وبنى قبة الصخرة عام سنة ٦٨٨ ، وكان فى فناء الحرم على أيامه عشرة من اليهود يقومون بأعمال الكنس والنظافة نظير اعفائهم من الجزية . ذكر ذلك تاريخ مجير الدين المخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس .

وفى سنة ٧٠٥ تولى سليمان بن عبد الملك بن مروان : فترك فى دمشق أخاه الأصغر وحضر إلى القدس وهو ينوى أن يجعلها عاصمة للخلافة الاسلامية ثم عدل ؛ وذكر مجير الدين فى تاريخه أن المكلفين على عهده بانارة المسجد الأقصى كانوا من الخدم اليهود ، إلى أن تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز (٧١٠ – ٧٢٠) ففصل اليهود من هذه الأعمال وجعل خدم الحرم جميعاً من المسلمين .

وفى سنة ٩٦٩ . سقطت سوريا وفلسطين تحت حكم الخلافة الفاطمية بالقاهرة . وأستولوا على القدس فى عهد المعز لدين الله الذى كان مشهوراً بعطفه الشديد على الأقليات من أهل الكتاب وخصوصاً اليهود . فأزدهرت فى أيامه الطائفة اليهودية ؛ ولكن حفيده الحاكم بأمر الله (سنة ١٠١٠) ؛ قسا على المسيحين واليهود وهدم بعض الأبنية المعظمة عندهم ، حتى أنه أراد ذات مرة أن يهدم كنيسة القيامة كما يروى مجير الدين فى كتابه فى التاريخ .

وفى أواخر يوليه سنة ١٠٩٩ دخل الصليبون القدس لأول مرة بقيادة الفرنسى «جوفروا» وأبادوا جميع المسلمين واليهود فى المدينة المقدسة وأحرقوا ديارهم ومقدساتهم ، وحرموا عليهم دخولها ، وان كان الرحالة اليهودى الاندلسى «بنيامين التطيلى» يذكر فى رحلته التى زار فيها القدس سنة ١١٧٠ أنه وجد فيها قليلا من اليهود يقيمون تحت «برج داود» ويشتغلون صباغين بتصريح من الحاكم الصليبى لقاء مال يدفعونه له .

ويذكر رحالة يهودى آخر من الأندلس أيضاً هو يهودا الحريزى الأديب أنه زار القدس بعد أن استردها صلاح الدين الأيوبى من الصليبين (يوم الجمعة ٢ اكتوبر سنة ١١٨٧) فسمع عنه أنه يكرم اليهود ويحسن معاملتهم ويشجعهم على الاقامة فيها .

وظل الأمر يتأرجح عنفاً وتسامحاً مع اليهود بين الصليبين والمسلمين حسب الظروف إلى أن خلصت فلسطين للماليك . وكان اليهود قد كثروا

فى القدس ، وبدأت بينهم تنظيمات سرية تفرض عليهم الاتاوات لصالح الطائفة ؛ وتوقع العقوبة — سراً — بمن يرفض دفع الاتاوة .

حدث مرة فى حكم السلطان الملك الأشرف قايتباى : من المماليك البرجية (١٤٦٨ — ١٤٩٦) أن أحد اليهود رفض دفع هذه الاتاوة : فوقع تحت التهديد والارهاب . حتى أنه آثر الدخول فى الاسلام . واشتاطت أمه من قسوة زعماء الطائفة عليه : فأسلمت هى كذلك . وأوقفت بيتها الواقع فى الحى اليهودى ليكون مسجداً للمسلمين . وكان مجاوراً للمعبد . فلجأ المسلمون فى المدينة سنة ١٤٧٥ إلى المحكمة الشرعية بالقدس يطلبون اجلاء اليهود من مجاورة المسجد الجديد وازالة معبدهم . وأصدرت المحكمة حكمها فى صالحهم . ولكى تبين أن الحكم لابد أن يصدق عليه من المحكمة العليا فى القاهرة . وفى انتظار التصديق قام المسلمون فعلا ببعض أعمال الهدم والازالة . ولكن السلطات العليا بالقاهرة نقضت حكم المحكمة الشرعية بالقدس . وأفتت بأنه لاضير بأن يقوم مسجد للاسلام فى حارة اليهود وبجوار معبدهم . وأمرت باعادة بناء ما تهدم على نفقة المسلمين : ذكر هذا أحد مشاهير أحبار اليهود الذين عاصروا تلك الأحداث . وهو الربى عوبديا دى برطينورو فى رسالة له من القدس . وكان معظم اليهود يسكنون فى حى خاص بهم على جبل صهيون بمعزل عن المسجد الأقصى وكنيسة القيامة .

فى نفس هذا القرن الخامس عشر الميلادى كان العرب قد طردوا من الأندلس . وكان الاسلام قد دخل أوربا من الشرق مع السلطان العثمانى محمد الثانى — الفاتح — الذى استولى على القسطنطينية : ووضع بذلك نهاية للامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) .

وطرد العرب من الأندلس جر معه جالية يهودية ضخمة كانت تعيش آمنة فى كنفهم . وهى التى قامت بخدمة اللغة العبرية والدين الاسرائيلى .

والحفاظ عليهما وتعميق دراستهما ووفد من هذه الجالية جمهور كبير للاستقرار فى القدس : كما بدأ يفد من بيزنطة أيضاً عدد من اليهود لايستهان به.

وفى سنة ١٥١٦ انتهى حكم المماليك عندما سقطت القدس فى يد الجيش التركى فى عهد السلطان سليم الأول العثمانى ومن بعدها مصر أيضاً وبعد ذلك مباشرة كان السلطان سليمان القانونى العثمانى ١٥٢٠ – ١٥٦٦ هو الذى يحكم الامبراطورية الاسلامية الشاسعة وقد أمر باعادة بناء أسوار القدس الشريف على النحو الذى نعرفه الآن .

وبهذا السور الحالى سبعة أبواب :

١ – باب الخليل غرباً . وهو الذى يسمونه أيضاً باب يافا : وكان يسمى قديماً باب ابراهيم .

٢ – باب النبي داود جنوباً : واسمه باب صهيون . وهو على جبل صهيون ملاصق لقبور ملوك آل داود .

٣ – باب المغاربة جنوباً من منخفض الجبانه «التيروبيون» ويسمى أيضاً الباب الصغير لصغر حجمه نسبياً : ومن الأثريين من يزعم أنه باب القمامة القديم ، والراجح أن باب القمامة كان إلى الجنوب أكثر ، فى أسفل الجبل ومن هذا الباب تخرج جنازات الموتى لتدفن على جبل الزيتون .

٤ – باب السباع شرقاً ، والعرب يسمونه باب ساباط والظاهر أن الكلمة تحريف يهوشا فاط واليهود كانوا يسمونه قديماً باب «يهوشا فاط» لأنه يطل على الوادى المسمى بهذا الاسم .

٥ – باب الزاهرة . شمالا : وهو باب هيرودس : وربما كان فى موضع «باب ساحة الجيش» القديم .

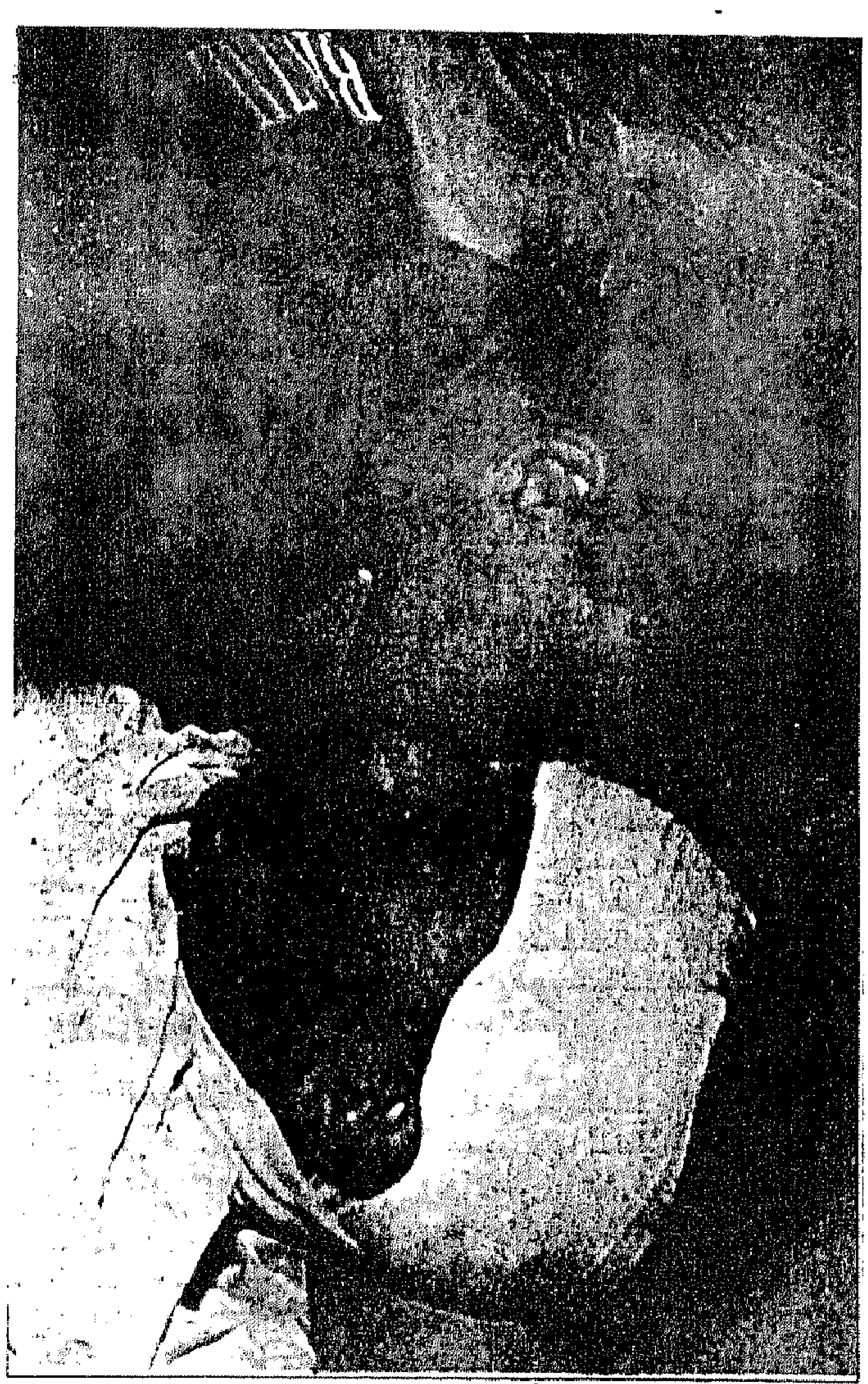
٦ – باب العمود . فى الشمال الغربى : ويسمونه باب دمشق . واليهود تسميه باب شكيم «نابلس» .

٧ — الباب الجديد ، غربي باب العمود ، ويسمى باب عبد الحميد وهو أقرب الأبواب إلى كنيسة القيامة .

هذا عدا أبواب وبوابات داخل القدس نفسها مثل «باب حطة» الذى يصل اليه الداخل إلى القدس من باب الزاهرة ، وباب السلسلة القريب من المسجد الأقصى .

وبعد فهذه جولة فى تاريخ القدس تتبعنا فيها اليهود خاصة ، فوجدنا أن المدينة كانت مقدسة قبل داود بألف سنة ، من أيام الملك الفلسطيني ملكيصدق . لدرجة أن سيدنا ابراهيم التمس منه الطعام والشراب ، وأن يباركه ببركة الله العلى ، ووجدنا أن فترة أواخر حكم داود وحكم سليمان وهى لا تعدو كلها ثلاثا وسبعين سنة : ٣٣ للدواد ، ٤٠ لسليمان هى الفترة الوحيدة التى كانت المدينة والهيكل فيها مركزاً وعاصمة لليهود بقوة السلاح أولا وبالمسالمة والدبلوماسية ثانياً . ووجدنا أنه بمجرد موت سليمان تقلصت سلطة القدس بأكثر من النصف . إذ كانت دولة اسرائيل فى الشمال لا تعترف لا بداود ولا بسليمان ولا بخلفائهما . لا فى الدين ولا فى السياسة . حتى جاء الآشوريون والبابليون ووضعوا حداً لكل هذا ، ومنذ ذلك الوقت كانت أورشليم رمزاً . ولم يكن وجود اليهود فيها وجوداً مستقلا : لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا دولياً . وانما كانت لهم فيها زوايا ومعابد لطقوسهم . وكان يأتى اليها حجاجهم كما يذهب المصرى أو المغربى أو التركى للحج فى مكة المكرمة . ووجدنا أن العرب عندما دخلوا القدس الشريف بعد الاسلام كانت المدينة خالية من اليهود منذ خمسمائة سنة أو أكثر ومن كل أثر سياسى أو دينى لهم الا «مسمار جحا» الذى هو حائط المبكى . وعلى مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً . كانت تحت الادارة الاسلامية « مدينة الله » حتى نجد فيها المسلم والمسيحى واليهودى صفاء النفس والسكينة الروحانية اللازمة للتأمل والعبادة .

ألف سنة قبل داود . وألف وخمسمائة سنة بعد دواد ، والقدس مدينة الله . بل داود نفسه لم يكن يسميها الامدينة الله . واليهود يعرفون ذلك جيداً ، ويعرفون أن التلمود كان يعتبرها «مدينة مملوكة لله» . ولذلك حرمت شريعته أن تملك فيها الانسان بيتاً أو أرضاً أو بستاناً . أو أن يسكن أحدا في بيته بأجر . ولكنهم عند اللزوم كثيراً مايسكتون جميع الأصوات حتى صوت داود وسليمان وأصوات الأنبياء ، وحتى صوت التلمود .



طفل فلسطيني يطبع قبلة أخيرة على وجه شقيقه الشهيد وائل عماد ، ١٤ عاما ، الذي أغتاله رصاص الاحتلال الإسرائيلي الغاشم خلال الاشتباكات التي استمرت أ[illegible] في غزة ولسان حاله يقول، لا تخف يا أخي نحن سائرون على درب الانتفاضة فداء للأقصى، «صورة للأخبار من رويتر».

هيكل سليمان .. وهياكل أخرى

كيف كان الهيكل الذى بناه سليمان ؟ وكيف تم بناؤه ؟ هل بقى منه شيء غير تلك الشطحات الأدبية الاسطورية التى يغص بها الأدب اليهودى . الدينى منه والعلمانى ؟ هل قامت على أنقاضه هياكل أخرى ؟ .

أسئلة هامة تستوقفنا كما استوقفت الباحثين منذ أقدم العصور . وسنقف عندها علنا نجد بصيصاً من نور . يساعدنا على تبين بعض المعالم ؛ وعلى تصور البناء فى هيئته الواقعية البعيدة عن تخيلات الحنين اليهودى الحالم . وعن التلخيص العابر الخاطف الذى ذكرنا مثالا له من كتابة اليهودى الأمريكى المعاصر «لويس براون» .

جاء فى الكتاب المقدس أن داود كان يريد أن يبنى هيكلا للرب فى أورشليم . ولكن النبى «ناثان» أبلغه — من لدن الرب — بأن يترك هذا المشروع لابنه سليمان (صموئيل الثانى ٧) . لماذا ؟ ان داود نفسه ليشرح سبب ذلك لابنه سليمان شرحاً له دلالته ومغزاه . حتى فى العصر الحديث . وليسمع كهنة الصهيونية التوسعية فى فلسطين الآن (اخبار الايام الأول ٢٢) : «وقال داود لسليمان يابنى . كان فى خاطرى أن أبنى بيتاً لاسم الرب الهى ، فكان إلىّ كلام الرب قائلاً : قد سفكت دماً كثيراً . وعملت حروباً كبيرة فلن تبنى بيتاً لاسمى . لأنك سفكت دماء كثيرة أمامى على الأرض . وها هو ذا ابن يولد لك . يكون رجل سلام . أسلمه من جميع اعدائه الذين من حوله . إذ سيكون اسمه سليمان : وسأعطى سلاماً وهدوءاً لبنى اسرائيل فى أيامه وهو يبنى لاسمى بيتاً» .

ومع ذلك فان داود أراد . قبل موته . أن يسجل معاونته الفعالة لابنه فى اقامة الهيكل ، فأخذ يجهز المواد اللازمة للبناء : وكان اليهود فى عصره ما يزالون فى بداوة بدائية يندر فيهم من يعرف أصول حرفة أو صناعة

أو علم من علوم الدنيا ؛ وسترى ان الاعتماد على الفنيين الأجانب كان الحل الوحيد الممكن أمام داود وسليمان حتى يرتفع هيكل الرب . جاء فى سفر أخبار الايام الأول — ٢٢ : «وأمر داود بجمع الأجانب الذين فى أرض اسرائيل . فأتخذ نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله . وهيأ داود حديداً كثيراً للمسامير لمصاريع الأبواب والأوصال . ونحاساً كثيراً بلا وزن وخشب أرز لا يحصى ؛ لأن الصيدونيين والصوريين أتوا بخشب أرز كثير لداود » ثم أضاف داود وهو يخاطب ابنه فى نفس هذا الاصحاح قائلا : «وها أنذا فى مذلتى قد جهزت لبيت الرب مائة ألف وزنة من الذهب وألف ألف وزنة من الفضة ومن النحاس والحديد مالا وزن له لكثرته . وجهزت أخشاباً وحجارة وأنت تزيد عليها . وعندك صناع كثيرون للعمل : نحاتون ؛ ونقاشو حجر وخشب . وكل أستاذ فى كل حرفة» .

هذه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . وهذا الخشب والحديد والنحاس الذى يفوق الوزن والحصر ؛ وهؤلاء العمال المهرة والأساتذة الخبراء فى كل حرفة . قد أورثهم داود لسليمان قبل أن يترك الدنيا ومن فيها . فلننظر ماذا كان من أمر «بيت الرب» وبنائه .

أما مكان البناء فالاجماع منعقد . بناء على عنعنات شفوية يقال انها متصلة متواترة على أنه الهضبة المسطحة التى تتوج جبل «موريا» — المكان الذى وجد فيه ابراهيم ، قبل سليمان بألف سنة ؛ الرجل الفلسطينى الأصيل «ملكيصادق» . ملك أورشليم ؛ يعبد الله العلى . ويقوم بقرى الضيوف فيقدم لابراهيم الخبز والنبيذ . ثم يباركه «باسم الله العلى» أيضاً .

ظل هذا المكان فلسطينياً قحاً ، فى أيدى اليبوسيين ؛ رغم الضغط الاسرائيلى المتكرر حتى جاء داود ؛ فوجده ملكاً لفلاح فلسطينى يبوسى اسمه «أرونا» أو «أورنان» . وقد جعله جرناً ؛ فاشتراه منه : والظاهر أن اليبوسيين كانوا قد تعودوا من رذالات النهب والاغتصاب الاسرائيلى ما جعل «أرونا» يندهش عندما وجد داود يدفع له ثمن الجرن ؛ وكان قد

عرض عليه — اتقاء لشره — أن يأخذه بلا مقابل ، «فقال الملك لارونا : لا ، بل اشتري منك بثمن ، فلا أحرق القرابين للرب الهي مجاناً» . (صمويل الثاني ٢٤) .

أما عدد الصناع الذين اجتمعوا في أورشليم لينفذوا لسليمان المشروع الذي أوصى به أبوه داود فضخم جداً يزيد على مائة وخمسين ألف عامل . والهيكل بناء صغير حسب أوصافه التي وردت الينا (طوله ٣٢ متراً ، وعرضه ١١ متراً وارتفاعه ١٦٧ متراً بالتقريب) مما يدعونا إلى التساؤل : هل كانت كل مواد البناء التي أعدها داود : وهذا العدد الضخم من العمال والفنيين مخصصه للهيكل وحده ، أم أن الأمر على ما يذكر «لويس براون» من أن الهيكل لم يظفر من ذلك الا بالقدر الأقل بينما الجانب الأكبر قد خصص لمبان أخرى أقل اتصالا بتمجيد «الرب» ، منها القصر الملكي لسليمان ، وقصر زوجته ابنة فرعون ، والصروح البديعة ، والفيلات الانيقة ، التي أعدها لنسائه الكثيرات جداً ، والأبنية الحكومية المختلفة ، وحتى المعابد الوثنية التي اقيمت خصيصاً لمن رفضن التهود من النساء الاجنبيات اللاتي أحببن سليمان (الملوك الأول ١١) .

مهما يكن من شيء فان العمال الذين جاءوا لتنفيذ المشروع كان معظمهم من الأجانب كما قلنا ، وينقسمون حسب ما جاء في الاصحاح الخامس من سفر الملوك الأول إلى الفئات الآتية :

١ — ٣٠،٠٠٠ عامل لقطع الأخشاب يكونون ثلاث ترحيلات كل منها عشرة آلاف عامل ، تذهب إلى لبنان فتعمل شهراً ثم تعود إلى فلسطين فتمكث شهرين هما مدة الترحيلتين الأخريين . بحث تعمل كل واحدة من التراحيل الثلاث أربعة أشهر على أربع فترات في السنة . وكان الخشب المقطوع يأتي من لبنان بحراً إلى يافا ، والمذكور منه نوعان هما الأرز والسرو ، وورد في سفر اخبار الايام الثاني ٢/٨ اسم غامض لنوع ثالث . ترجمه المترجمون بالصندل ، ومعروف أن الصندل لا ينبت في لبنان ، ولعل المقصود بالكلمة

العبرية — وهى من غريب اللغة — خشب الساج . وهو خشب شجر يميل إلى الحمرة ويستعمل فى النجارة . (وقد اعتمدنا فى هذا التصحيح على على المعجم العبرى العربى «جامع الألفاظ» تأليف أبى سليمان داود بن ابراهيم الفاسى الذى يرجع إلى حوالى سنة ٩٥٠ م) .

٢ — ٧٠,٠٠٠ حمال

٣ — ٨٠,٠٠٠ حجار ، يهيئون حجارة البناء فى «محاجر سليمان» فى الطرف الشمالى من جبل الزيتون : إلى أقصى الشرق من مدينة القدس .

٤ — ٣,٣٠٠ رؤساء تشغيل (عمال فنيون . «اسطوات» : ملاحظون) وعددهم فى سفر أخبار الأيام الثانى الاصحاح الثانى . مختلف إذ هو ٣,٦٠٠

٥ — ٥٥٠ بناءون من صور وجبيل : وهما المدينتان الفينيقيتان المشهورتان فى العصور القديمة باتقان بناء الحصون والقلاع .

وفى ربيع السنة الرابعة من جلوس سليمان على العرش وضع الحجر الأساسى للمشروع بعد خمسمائة سنة من خروج بنى اسرائيل من مصر مع موسى . وتم البناء بعد سبع سنين . فى خريف السنة الحادية عشرة من ملك سليمان أيضاً .

يقول المؤرخ اليهودى اليونانى يوسفوس (تاريخ اليهود : الجزء الثامن : الفصل الثالث) : ان سليمان قد وصل بأساس الهيكل إلى عمق سحيق . وكان هذا الأساس يتكون من مكعبات من حجر شديد الصلابة ، يمكن أن يتحمل بعد ارسائه فى أعماق الأرض كل ثقل المبنى القائم عليه . والذى يزيد من ثقله كل التصميم الزخرفى الذى أعده له سليمان : وهو تصميم يزن مثل وزن الهيكل نفسه . وكانت حجارة الأساس هذه بيضاء ، وكان طول الأساس ستين ذراعاً (٣١,٥ متر) وعرضه عشرين ذراعاً (١٠,٥) ، وهذه هى أبعاد الهيكل الظاهر فوق سطح الأرض حسب رواية الكتاب المقدس :

أما عمق الأساس فكان ستين ذراعاً أيضاً (٣١,٥ متر (ومفهوم كلام يوسفوس أن الكتلة المحددة بهذه الأبعاد كانت كلها مصمته ، مملوءة بالمكعبات الحجرية الضخمة ؛ ولم تكن مجرد «سياج» يحيط بالأرض .

ويرجح كثير من الاثريين وفى مقدمتهم الأثرى الفرنسى «دى سولسى» فى كتابه «تاريخ الفن اليهودى» أن الهيكل الذى بناه سليمان كان فى داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل ، بدليل أن الهيكل الذى بناه اليهود بعد عودتهم من السبى البابلى فى نفس المكان ، وبعد سليمان بنحو خمسمائة سنة أخرى ، كان يحيط به سور أيضاً : وكذلك الهيكل الذى عمره هيرودس بعد ذلك بخمسمائة سنة أخرى ؛ ثم الحرم الاسلامى الشريف الذى قام أخيراً . فى نفس المنطقة التى كان «ملكيصدق» يدعو فيها باسم الله العلى فى زمن ابراهيم. ويبدو أن السور الذى كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان . كان مربعاً طول ضلعه مائة وثمانون متراً (فتكون مساحة ما يحيط به السور نحو ثمانية أفدنة الا ربعاً) . وبهذه المناسبة يذكر الأثرى الفرنسى «دى سولسى» مقاييس الحرم الاسلامى الشريف فى نفس المنطقة وفى العصر الحديث كما كما قاسها هو بنفسه . وهى : الضلع الشرقى لسور الحرم وطوله ٣٨٤ متراً . والضلع الجنوبى طوله ٢٢٥ متراً . ثم يمتد الضلع الغربى بزاوية منفرجة وفى خط غير مستقيم . بحيث يكون الضلع الشمالى من السور أطول بكثير من مقابله الجنوبى . وينبنى على ما ذكره «دى سولسى» أن تكون مساحة الحرم الشريف أكثر بكثير من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان . أو نحميا . أو هيرودس .

هناك أيضاً أمر يستحق الانتباه . وهو أن الحرم الاسلامى الشريف مستطيل . واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (فى اتجاه القبلة بمكة المكرمة) ؛ أما معبد سليمان فهو مستطيل لكن اتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس) وهو الاتجاه العام فى المعابد القديمة فى بابل أو مصر أو غيرهما من أقطار الشرق الأدنى والأوسط . واذن فلا تمكن التسليم بسذاجة برأى من يدعون أن الحرم يقوم تماماً على ما كان سابقاً يسمى هيكل سليمان ، حتى لو سلمنا أن الهيكل

كان فى هذا الركن بالذات من الجبل ؛ وهذا لا دليل عليه الا العنعنات التى اتخذت فى نفوس البعض منزلة مقدسة لتكرارها عبر الأجيال . والذى يستفاد من أوثق النصوص — هو أن الهيكل كان يتضمن التفاصيل الآتية :

١ — قدس الأقداس :

غرفة مكعبة أبعادها طولا وعرضاً وارتفاعاً ١٠,٥ متر . وفيها ستار يقسمها قسمين ، ففى القسم الداخلى منها تابوت العهد ، وهو صندوق تحفظ فيه نسخة من توراة موسى مخطوطة على جلد أورق ، عن يمينها وشمالها تمثالان للكروبين يملآن بقية الفراغ . وأصل الكروبين فى عقيدة اليهود أنهما من الملائكة . وكان اثنان منهما حرسان أبواب الجنة بعد أن طرد منها آدم وحواء . ثم انتقلت القصة فى الفولكلور الشرقى القديم : فى بابل وأشور وبلاد الحيثيين وإيران وفينيقيا وغيرها فأصبح « الكروب » نوعاً من أبى الهول المجنح يحرس البناء الذى يوضع فيه ، وكان شكل التمثالين الحارسين يتخذ أسلوب الطراز الفنى للأمة والعصر ، وأغلب الظن أنه كان فى هيكل سليمان أشبه بأمثاله فى المعابد الفينيقية ، أى بأسلوب وسط بين الفن البابلى الأشورى فى العراق والفن الفرعونى فى مصر . وربما كان فى هيكل هيرودس قد نفذ بشكل أقرب إلى الفن التجريدى . دون تفاصيل واقعية احتراماً لنهى التوراة عن اتخاذ التماثيل المنحوتة ، فكان «الكروب» أو الملك الحارس يظهر بشكل كتلة وسطى تحف بها جناحان كبيران مدببان . ولعله من هنا جاء الاعتقاد الشعبى عند الرومان فى أن اليهود يعبدون فى قدس الأقداس صنما على شكل رأس حمار . إذ بدا لهم جسم «الكروب» بين الجناحين كرأس حمار بين الاذنين الطويلتين ، إذا وضعنا فى الحسبان الفرق الشاسع بين ثقل الفن اليهودى وتخلفه ، وفخامة الفن الرومانى ودقته وتفوقه .

وأما النصف المفتوح من قدس الاقداس فيحتوى فى الوسط على المذبح الذهبى للقرابين ، وإلى يساره منضدة تحمل الشمعدان السباعى الذى يضاء

فى أثناء اقامة الطقوس — ويقال أنه كان فى هيكل سليمان يضاء باستمرار لا ينطفىء أبداً . وإلى يمين المذبح الذهبى منضدة لخبز التقدمة الذى يدخل فى الطقوس اليهودية أيضاً .

٢ — البهو المقدس :

وهو المكان الخاص باجتماع الناس للعبادة واقامة الشعائر . ويفصله عن قدس الأقداس باب . وعلى جانبيه صفت مناضد لوضع المسارج والشموع

٣ — قاعة المدخل :

وهى أول مكان يلى الباب . وليس بها أثاث دينى معين . وهى التى يليها من الخارج باب الهيكل . وكان عليه عمودان أحدهما عن اليمين باسم «ياكين» أحد أحفاد يعقوب من سبط شمعون ؛ والثانى عن اليسار باسم « بوعز » . أحد أبطال سبط يهوذا القدماء . وعلى جانبى هذا الصحن الخارجى المكشوف الذى يقوم فيه العمودان أحواض لغسل الذبائح ،ومذبح فى الهواء الطلق لتصعيد القرابين التى تحرق بالنار من هذه الذبائح ؛ يصعد اليه بسلم من عدة درجات وفى زاويتى المبنى سلمان يوصلان إلى الطوابق العليا التى بها غرف الكهنة ومرافق الهيكل . وعن يسار المذبح الخارجى « بحر النحاس » وهو حوض نحاسى كبير يحمله اثنا عشر ثوراً من البرنز .

وهكذا يكون طول المبنى كله ٣١.٥ متراً وعرضه ١٠,٥ متراً . وارتفاعه فيما عدا قدس الأقداس ١٥.٧٥ متراً ؛ بينما قدس الأقداس سقفه منخفض نسبياً فارتفاعه كما قلنا ١٠.٥ متراً .

وكان من الداخل مغطى بالنقوش المنحوتة فى الحجر والخشب من ازهار ونباتات وكروبين وكما يقول لويس براون : لم يكن المعبد لا فخما ولا ضخما الا فى أعين اليهود البسطاء الذين لم يكونوا قد وصلوا من الحضارة إلى درجة يطمحون معها فى انجازات معمارية كالتى كانت سائدة فى نفس العصر فى مصر الفرعونية أو بابل وأشور أو ايران أو الهند .

وقد بقى هذا الهيكل حتى خربه بختنصر فمحا أثره محواً تاماً فى القرن السادس قبل الميلاد . وربما دخلت حجارة من أنقاضه فى أبنية متأخرة . ظن بعض الباحثين ، بحسن نية أو للمغالطة وتشويه التاريخ ، أنها بقايا من انجازات سليمان .

الهيكل الثانى

كان هم العائدين من السبى البابلى الذى دام سبعين سنة أن يبسطوا سلطانهم مرة أخرى على فلسطين . وأن تقوم لهم دولة ، تحت وصاية «قورش» امبراطور ايران فى القرن الخامس قبل الميلاد . وأن تكون هذه الدولة قنطرة للتوسع العسكرى الفارسى فى الشرق الأوسط ، الذى انتهى باستيلاء قمبيز على مصر نفسها . وإذا كان السادة الفرس لم يعطوا اليهود «وطناً قومياً» الا بشروط معينة خلاصتها الولاء التام والتبعية المطلقة لسياستهم بخيرها وشرها فان اليهود ارادوا أن يعيدوا بناء أورشليم، وتشييد هيكل سليمان ، حتى تكون هذه الواجهة أمام الناس تعمية على التبعية التى رضخوا لها صاغرين . ولقد حاولوا جاهدين أن يبنوا الهيكل الثانى على نفس المخطط الذى بنى عليه الهيكل الأول . هيكل سليمان : وانتهى البناء فى عهد دارا الأول الفارسى .

كان الذين عادوا من السبى نحو أربعين ألف يهودى أو يزيدون قليلا ؛ وكان على رأسهم «يوشع بن يوصدق» و «زروبابل بن شلتئيل » ؛ فبدآ ببناء مذبح للمحرقات فى الهواء الطلق على جبل الهيكل الذى كان وقتها خراباً وفى اليوم الأول من الشهر السابع من عودة اليهود من بابل إلى فلسطين كانت الطقوس تقام أمام هذا المذبح ؛ ثم لما لحق «عزرا» و «نحميا» بالعائدين إلى فلسطين من اليهود بدأت أعمال البناء والتحصين وإقامة أسوار أورشليم تتخذ شكل الانجاز النشيط ، رغم بعض العقبات التى كانت تقيمها الحكومة الفارسية من حين لآخر ، ورغم مقاومة غير منظمة قام بها أمراء حوران وعمان والجزيرة العربية ؛ والفلسطينيين المتمركزين فى اشدود (سفر نحميا الاصحاح الرابع وما بعده) .

وهذا الهيكل الثانى أيضاً انتهى أمره بالدمار التام بعد اقامته بخمسة قرون على يد تيتوس الرومانى . يقول يوسفوس فى كتابه «حرب اليهود» (الجزء الخامس ، الفصل الرابع . الفقرة الثالثة) : «وكان تيتوس كلما وجد الجنود الرومان قد فرغوا من قتل جميع الناس فى المنطقة التى يسيطرون عليها ، أمرهم أن يخربوا أورشليم ومعبدها وأن يقلبوها ظهراً على عقب ، فيما عدا الابراج العالية التى كان يحرص على بقائها كشواهد على ما قام به من التدمير» . وهكذا امحت معالم هذا الهيكل أيضاً الا بقايا نادرة ، مع ملاحظة أنه عند وصول تيتوس كان هيرودس ، قبله بنحو قرن من الزمان ، قد أدخل تعديلات وتغييرات على الهيكل الثانى ؛ وعلى تخطيط المدينة نفسها . كانت وحدها ، وبدون هدم أو تدمير . كفيلة بجعل الوصول إلى التخطيط المعمارى المبدئى للهيكل الثانى أمراً يكاد يكون مستحيلا . بالرغم من كل المحاولات التى أراد الباحثون اليهود أن يخرجوا منها بمخطط معمارى دقيق مستمد من عنعنات التلمود ومنهم الأثرى اليهودى «أيزنشتاين» مثلا . وأما ماجاء من جعل الصخرة الشريفة هى نواة قدس الأقداس فقد بينا الشكوك القوية التى تحوم حول هذا : وأولها ما ذكرناه من الاختلاف الشديد بين صخرة قدس الأقداس وصخرة المعراج النبوى المبارك من حيث الحجم والارتفاع عن الأرض .

وانطلاقاً من هذا المخطط التلمودى . ومع الوصف الذى أورده المؤرخ يوسفوس وغيره ، نجدنا مضطرين إلى أن نسجل مرحلة ثالثة متطورة جداً من الهندسة الدينية اليهودية فى حالة معبد أورشليم ابان ظهور المسيح .

هيكل هيرودس

وقد استفاد بعمق من العمارة اليونانية الرومانية ؛ وكادت تختفى منه الملامح الدالة على أصله اليهودى تماماً . وهذا الهيكل هو الذى دمره تيتوس ومحاه من الوجود سنة ٧٠ ميلادية . وحائط المبكى كان على الأرجح جزءاً من جداره الغربى . واليهود حريصون على تسميته حتى الآن «الجدار الغربى» .

هيكل جوبيتر كبير آلهة الرومان

على أثر الثورة التى قام بها فى أورشليم ضد الحكم الرومانى الزعيم اليهودى «بركوكبا» جاء الامبراطور هدريان (فى أوائل القرن الثانى الميلادى) وأزال كل شىء يهودى فى أورشليم حتى اسم المدينة كما قلنا ، وعلى انقاض الهيكل بنى معبداً رومانياً لكبير الالهة « جوبيتر » ، وأقام تمثالا لهذا الاله وآخر للآلهة فينوس . وجعل هذا الصرح على جبل أورشليم أشبه بمعبد الكابيتول الواقع على أحد جبال روما السبعة . ولذا أعطاه اسمه شخصياً «اليوس» واسم «الكابيتول» . وحرم استعمال اسم أورشليم وأحل محلها الاسم الرومانى الذى صنعه هو «ايليا كابيتولينا» — حتى أصبح اسم أورشليم لفظاً تاريخياً يطلق فقط على المدينة التى كانت فى هذا المكان على عهد الملوك والانبياء من بنى اسرائيل : وظلت المدينة تسمى «ايليا» ولا يسكنها اليهود حتى الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى . حيث كانت المنطقة الوثنية التى أنشأها هدريان قد خربت . وجاء ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب فأنشأ مسجداً بسيطاً لجنده . هو نواة الحرم الشريف والمسجد الأقصى ، بعد أن كان الاسلام قد كرس تلك البقعة المباركة . بوحى قرآنى : وبمعجزة الاسراء والمعراج المحيرة للاذهان .



فلسطينى يحمل طفلاً أصابه الرصاص المطاطى الإسرائيلى. [صورة من «أ ب»]

القدس ... وقتلة الأنبياء

ليس أشد إزعاجاً لكهنة السياسة الإسرائيلية في قديم الزمان وحديثه ، من " القول الفاصل " ومن الحل العادل المنطقي الإنساني المباشر ، وكلما ظهر في طريقها من يكشف لولبيتها ، وتعقيدها هذا للبسيط من الأمور ، مما لا يدع لها مجالاً للمغالطة والتهريج ، لجأت معه إلي الجريمة .. إلي القتل .

هكذا كان موقفهم قديما من نبيهم أرمياء ، ومن يوحنا المعمدان ، ومن عيسى المسيح ، وهكذا إلي أن نصل حديثاً إلي اغتيال اللورد موين وزير المستعمرات البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية والكونت برنادوت السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة وما لا يحصى عددهم من ضحايا الظلاميات الإسرائيلية المطبقة عندهم .. حتى اسحاق رابين رئيس وزرائهم .

وهناك عقدة (ظل الإسرائيليون يدخرونها للوقت الذي يصل بهم الحرج في ميدان السياسة الدولية إلي ذروته وهي (القدس) .. ويحاولون مخاطبة العالم بوجهين ..

الأول : هو الوجه اليهودي القح الذي لا يرى إلا الاستيلاء على القدس وتطهيرها من الإسلام والمسيحية ، وكادوا يقتلون هرتزل عندما لمح بأن هناك وطنا لهم في أوغندة ، واتهموه بالخيانة وأنقذ نفسه عندما غنى نشيد (إن نسيتك يا أورشليم) .

أما الوجه الثاني : فتخاطب به الصهيونية العالم .. وتقول لهم إن (القدس) .. (المدينة المتحف) .. (المدينة المقدسة) .. (مدينة الله) .. إلى أن تحين اللحظة التي يعلنون فيها عن مخططاتهم .. وقد ظهرت هذه المخططات في مذبحة (القدس) الأخيرة واشتعلت الانتفاضة الفلسطينية بدماء أكثر من مائتي شهيد من الأطفال والشباب وتسع آلاف مصاب وتدمير البيوت الفلسطينية .

ولم تعلن الصهيونية عن وجهها إلا عندما وجدت أن العرب اتفقوا على ألا يتفقوا أنهم على خلاف دائماً وأن أمريكا في حالة انعدام وزن بسبب الانتخابات الأمريكية ، (القدس) قضية عربية إسلامية .. فهل آن الأوان لمواجهة هذه المخططات .. بمخططات مستقبلية عقلية ، علمية ، تقضي على أحلام أولاد صهيون ؟!!.



أكذوبة مدينة داود

عندما ظهر الإسلام ، استولت جيوش عمر بن الخطاب علي القدس ٦٣٧ ميلادية بقيادة خالد بن الوليد ، وأبو عبيده عامر بن الجراح . وظل الجيش العربي يطوف حول المدينة ولا يدخلها في انتظار قدوم الخليفة الذي كان ينتظره زعماء المسيحيين في داخل المدينة ، ومعهم مشروع معاهدة تقضي بكل ما يريده العرب بشرط الإبقاء علي الحرية الدينية للمسيحيين ، واحترام المشاهد المسيحية المقدسة في البلد ، واستمرار القرار الروماني القديم بمنع اليهود من النزول بالمدينة ، وقد قبل عمر بن الخطاب الشروط كلها إلا الشرط الأخير ، معتذراً بأن القرآن الكريم قد حدد ما لأهل الكتاب وما عليهم ، وتعهد بالا يدخل أحد من اليهود إلي مقدساتهم أو يسكن في حاراتهم . واختط مسجداً بجانب السخرة الشريفة التي كان الرسول الكريم سيدنا محمد صلي اله عليه وسلم قد أسرى به إليها ، فصلى عندها ودعا القرآن الكريم المكان باسم (المسجد الأقصى) ومن ثم عرج به في القصة المعروفة المذكورة في القرآن الكريم .

لقد كانت (مدينة القدس) قبل داود مقدسة بألف سنة من أيام الملك الفلسطيني (ملك صادق) لدرجة أن سيدنا إبراهيم التمس منه الطعام والشراب وأن يباركه ببركة الله العلي القدير .وثبت أن فترة أواخر حكم داود وحكم سليمان ، وهي لا تعدو كلها ثلاثة وسبعين سنة (٣٣ سنة لداود ، ٤٠ سنة لسليمان) .

ومنذ ذلك التاريخ كانت أورشليم رمزا ، ولم يكن وجود اليهود فيها وجودا مستقلا لا سياسيا ولا اقتصاديا ولا دوليا وإنما كانت لهم فيها زوايا ، ومعابد لطقوسهم ، وكان يأتي حجاجهم ، كما يذهب المصري أو المغربي أو التركي ، للحج في مكة المكرمة .

ووجد أيضا أن العرب عندما دخلوا القدس الشريف (بعد الإسلام) كانت المدينة خالية من اليهود منذ خمسمائة سنة أو أكثر ومن كل أثر سياسي أو ديني لهم إلا (مسمار حجا) الذي هو حائط المبكى ، وعلي مدى أكثر من ثلاثة عشر قرنا كانت الإدارة الإسلامية لـ (مدينة الله) بحق ، يجد فيها المسلم والمسيحي واليهودي صفاء النفس ، والسكينة الروحانية اللازمة للتأمل .

ألف سنة قبل داود ، وألف وخمسمائة سنة بعد داود ، والقدس مدينة الله ، بل داود نفسه لم يكن يسميها إلا (مدينة الله) واليهود يعرفون ذلك جيدا ، ويعرفون أن تلمود كان يعتبرها مدينة مملوكة لله .ولكن ماذا نقول لقتلة الأنبياء ، وسفاحي الدماء ؟

سنقول لهم .. أن (القدس) ستعود حتما إلي أيدي أصحاب الحق ، مهما طالت الأيام !!.

الانتفاضة والأزمة الصهيونية

سأل صحفي إنجليزي امرأة فلسطينية : ما الذي يحتاج إليه الأطفال في المخيم ؟ فأجابت قائلة : أنهم يحتاجون إلي دولة . ثم مضت تقول نفضل الموت جوعا علي أن نستسلم . عن مجلة (نيوستيتمان) البريطانية ويقول د. عبد الوهاب المسيري في كتابه الأخير (الانتفاضة الفلسطينية .. والأزمة الصهيونية ودراسة في الإدراك والكرامة) .

إن الكتاب ليس دراسة في الانتفاضة وحسب وإنما هو أيضا دراسة في النماذج الفلسطينية ، والمحاولة الصهيونية لقمعها فالانتفاضة لحظة تاريخية نادرة .. تحولت إلي حدث تاريخي يومي .الانتفاضة لم تكن تعبير عن يأس عقيم وإنما تجل لامتلاء عربي فلسطيني ، واكتشاف للذات واسترداد لها .

لقد تحول الجيش الإسرائيلي صاحب العمليات الإجهاضية الشهيرة ، تحول من الفعل إلي رد الفعل ، ودخل محيط الإدراك العربي ، وبدأ يدرك الواقع من خلال مقولات أطفال الحجارة . وكما قالت مجلة (شبوت) إن الفلسطنيين هم اللذين يحددون قدر ومستوى والتصعيد .

وهذا هو الخطر الحقيقي الذي يواجه إسرائيل ، لأنها لا تسيطر بصورة فعلية علي قوانين اللعبة .

ويظهر تدهور القوات المسلحة الإسرائيلية في انخفاض الروح المعنوية والإحساس العميق بالخوف واليأس . ففي مقال لجدعون آلون في (هـآرتس) بعنوان جندي احتياطي عائد من الخدمة في قطاع غزة : كان ذلك كابوساً حقيقياً . قال أحد جنود الاحتياط إن قطاع غزة أصبح (عشاً للدبابير) .وكلما تذكرت أنني سأضطر للعودة إلي كل هذه الأماكن اعترتني قشعريرة وتصبب العرق من جبيني . وقد سئم الكثيرون من مطاردة الأطفال رماة الحجارة .

وقد جسدت الانتفاضة شعار(الوحدة علي أرض المعركة) وأصبح الشهداء اللحن المميز في افتتاحيات نشرات الأخبار الإذاعية والتلفزيونيات حتي بلغ عدد الشهداء أكثر من ٣٠٠ شهيد وأكثر من عشرة آلاف جريح وأظهرت الانتفاضة لوجه القبيح لإسرائيل وقادها ، باعتبارها دولة عنصرية استيطانية . وأثبتت الانتفاضة للعالم أن الفلسطينيين ليسوا كما مهملا ولا مجموعة من الإرهابيين ، وإنما شعب يود الحرية .

أما بالنسبة للولايات المتحدة ، فقد هزت الانتفاضة من دور إسرائيل كوسيط في المنطقة أو (دور الشرطي) .. وهو دور مكلف جداً لأمريكا . وأن الانتفاضة أثبتت للعالم .. أنه ما ضاع حق وراء ه مطالب . والثمن غال جداً ولكن النهاية حتمية في صالح القضية الفلسطينية !!.

هل يخشى قادة إسرائيل السلام ؟!!

لقد أعلن الرئيس أنور السادات - رحمه الله - فى لقائه بوفد من الكونجرس الأمريكى جاء إلى مصر .. قال .. إننى على أستعداد لتحقيق سلام دائم فى الشرق الأوسط ، بشرط أن يكون سلاماً عادلاً ، وقال ، من جانبى ليست هناك عراقيل لإقامة السلام الدائم !! . ولكن هل يتفهم قادة إسرائيل ذلك ؟

وأكد ذلك أكثر من مرة الرئيس حسنى مبارك .. خلال مفاوضات السلام التى أجريت أخيراً بين الوفد الفلسطينى والوفد الأسرائيلى ، بعد مذبحة بيت المقدس .. التى أستشهد فيها مايقرب من خمسمائة شهيد وأكثر من خمسة آلاف جريح . تؤكد أن قادة إسرائيل يخشون السلام لماذا ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال .. وأسئلة أخرى .. يجب أن نذكر ما نشرته مجلة "باريد" الأمريكية . فى تعليقها على ذكرى حرب أكتوبر إذ قالت "ان الاسرائيلين لم يفيقوا بعد من مرارة تجربة الحرب بعد مرور تلك السنوات على وقوعها ، وأن موجة السخط ، والقلق ، والغضب مازالت تعشعش فى قاع الكيان الأسرائيلى .. هذه هى الحقيقة التى يحاول قادة إسرائيل إن يتجاهلوها !! وقد أعلن اسحق رابين رئيس الوزراء فى ذلك الوقت .. أن وجود إسرائيل سيتعرض للخطر الحقيقى إذا ما سحبت الولايات المتحدة تأييدها لبلاده .

وتخشى إسرائيل السلام .. لأنه القنبلة الزمنية التى سوف تنسف الكيان الأسرائيلى المزيف، وخاصة قادة إسرائيل الذين يثرون ويكنزون الأموال فى بنوك أمريكا ، .. وسوف تتكشف مئات الفضائح إذا تحقق السلام .

وأن الملايين من شباب إسرائيل .. سوف يهربون إلى أمريكا والبلاد الأوربية إذا تحقق السلام ، لأنهم يهربون ليعيشوا سعداء .. فى تلك المجتمعات بدلاً من الخوف الرهيب الذى يتسرب داخل نفوسهم .. فى نهايتهم المحتومة .. فى قبور مجهولة ، ومن تمزق نفوسهم ، وهم يحاربون الأطفال الفلسطينين بالرصاص .. أمام ثورة الحجارة التى يتسلح بها أطفال فلسطين.

ولذلك فان قادة إسرائيل يضعون كل العراقيل أمام جهود السلام التى تبذلها الدول المحبة للسلام ، وأن مصر تناصر السلام القائم على العدل وأن من حق الفلسطينين فى إستعادة أرضهم ، حق أكيد تؤيده كل الدول ماعدا أمريكا ، وأن القدس .. ستظل عربية إسلامية .. رغم أنف قادة إسرائيل مهما طال الزمن .. وأن عجلة التاريخ لن تعود إلى الوراء أبداً . وسوف يسود السلام العادل هذه المنطقة رغم مؤامرات قادة إسرائيل ضد السلام !!!

حول النكبة والنكتة الأسرائيلية

من منا لا يعرف أن إسرائيل هي دلوعة أمريكا . وقد عبر عن هذا رسام الكاريكاتير لصحيفة الوطن القطرية . فقد رسم ياسر عرفات وهو يتحدث مع صورة كلينتون المعلقة فوق كرسي رئاسة الولايات المتحدة حول عملية السلام وأمام العلم الأمريكي بدلاً من المفاوض الاسرائيلي ، يتحدث مع الصورة عن العجرفة الاسرائيلية المسلحة ضد أطفال الأنتفاضة.(لاتعليق)

وفي إحساس داخلي لكل إسرائيلي .. إحساس الذليل لاعتمادهم الاقتصادي والسياسي ، والعسكري على الولايات المتحدة الأمر الذي يفت في عضد الشرعية الصهيونية المزعومة. فعندما أقترح (يعقوب أريدور) خطة .. (دولرة) الشيكل (العملة الأسرائيلية) أي ربطه بالدولار، أقترحت (غيئولا كوهين) عضوة الكنيسيت المتعصبة ضد العرب أن توضع صورة (إبراهام لنكولن) على العملة الأسرائيلية جنباً إلى جنب مع صور زعماء إسرائيل ، ونجمة داوود ، وأن يدرس التاريخ الأمريكي للطلاب اليهود بدلاً من "التاريخ اليهودي" وقد نشرت جريدة "الجيروساليم بوست" هذه النكتة التي تعبر عن أحساس الأسرائيليين بنكبتهم التاريخية في ذلك.

أريدور : الخطوة الأولى هي أن تخفض الميزانية ، أما الثانية فهي تحطيم الشيكل وإستخدام الدولار !

الأخر : وما هي الخطوة الثالثة ؟

أريدور : الأمر واضح للغاية .. ننتقل كلنا إلى بروكلين (أحد أحياء اليهود في نيويورك) ومن أكثر النكت شيوعاً النكت الخاصة بأسلوب الأسرائيلين الأقتصادي ، وشراهتهم الإستهلاكية ، فقد نشر الصحفي الأسرائيلي (مكابي دين) في الجيروساليم بوست إلى أن الإسرائيليين يعملون مثل شعوب أمريكا اللاتينية (أي لا يعملون) ، ويعيشون مثل شعوب أمريكا الشمالية (أي يتمتعون بمستوى معيشي عال) ويدفعون الضرائب مثل الأيطاليين (أي يتهربون منها) ويقودون السيارات مثل المصريين (أي بجنون) .

وقال آخر ، إن المجتمع الاسرائيلي كان المفروض أن يصبح نوراً ساطعاً للأمم ذا "فولت" عال ، ولكنه أصبح مجتمع الثلاثه ف (3V) الفولفو والفيديو والفيلا .

أما النكتة الأخرى فهي عن عجوز يهودي يتصفح البوم الصور مع حفيده ويشير إلى صورته في الثلاثينيات حين كان يبني بنفسه بيته الصغير ، فيجيبه حفيده "هل كنت عربياً في الماضي ياجدي ؟" . إذ أن مهنة البناء لا يقوم بها سوى العرب . وقد أستخلص الطفل نتائجه تأسيساً على تجربته لا تأسيساً على الأكاذيب الصهيونية !!! .

<u>الصهيونية الخالدة :</u>

وقد كتب صحفي إسرائيلي خبيث كعادتهم دائماً .. مقالاً فكاهياً في باب "العمود الخامس" في الجيروساليم بوست ، وهي عبارة يمكن ترجمتها إلى (الطابور الخامس)

معلقاً على الصهيونية ووضعها وما آلت إليه . وعنوان المقالة هو "الصهيونية الخالدة" . وهو حوار بين متشائم ومتفائل . ويعلق الأول عن موت الصهيونية ، ولكن الثانى يؤكد له خلودها ويقدم له الأدلة والبراهين .

فالهجرة الصهيونية من الولايات المتحدة لا تزال على قدم وساق ، ويبين له أن القنصلية الاسرائيلية فى نيويورك أرسلت مائة نعش – إذ أن يهود أمريكا يحبون أن يدفنوا فى إسرائيل – وهذه ليست نكتة وإنما حقيقة تشكل إستمرارا للتقاليد الدينية اليهودية .

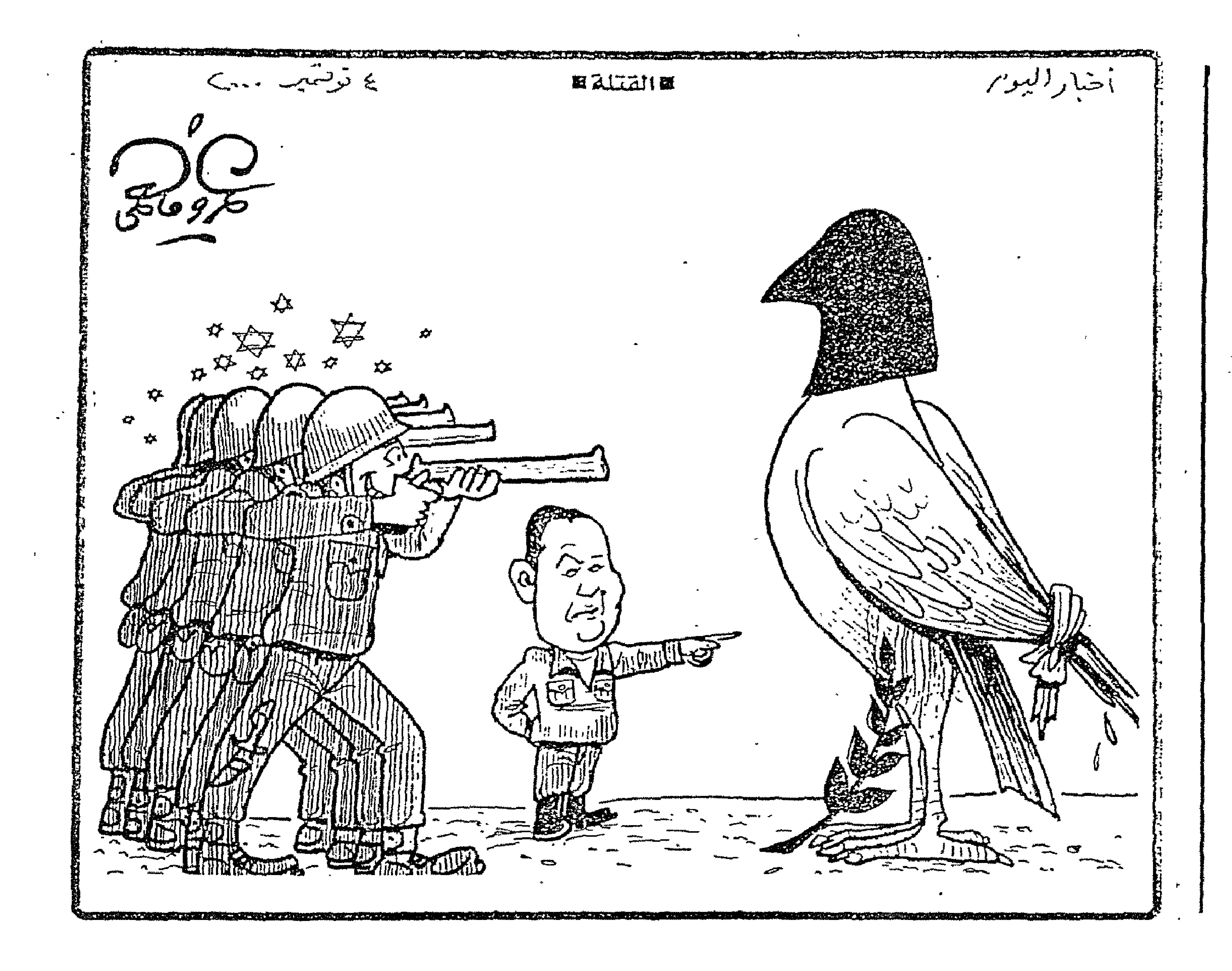
كنعان أم كندا :

ومن أكثر النكت دلالة تلك النكتة العبثية التى أطلقها يعقوب أجمون المسئول عن إحتفالات الذكرى الأربعين لتأسيس أسرائيل ، وهى مناسبة كانت تهدف للإعلان عن إسرائيل وإذلال العرب . وهاهى الإنتفاضة المباركة تفشل ذلك وتحول هذه الذكرى إلى يوم حزين وحداد (تماما كما فعل عبور ١٩٧٣ مع يوم كيبور أو عيد الغفران) . ويقول أجمون : إن المشروع الصهيونى كله يستند إلى سوء فهم وإلى خطأ إذ كان من المفروض أن يتم فى كندا بدلا من فلسطين . ويرجع هذا إلى تعثر لسان النبى موسى ، إذ أنه حينما سأله الله أى بلد تريده قال "كاكاكا–نانانا" بدلا من أن ينطق كلمة "كندا" مرة واحدة . فأعطاه الله أرض كنعان (أى فلسطين) بدلاً من كندا . فهاج عليه بنو إسرائيل وماجوا وقالوا له "كان بوسعك أن تحصل على كندا بدلا من هذا المكان البائس ، الخرب ، هذا الوباء الشرق أوسطى الذى يحيط به الرمال والعرب" . (تايم ٤ نيسان – أبريل – ١٩٩٨) . والنكتة هنا تعبر عن أحساس عميق بالورطة التاريخية وبالطريق المسدود الذى يؤدى إلى العدمية الكاملة .

ونجد نفس الإحساس فى هذه القصيدة القصيرة إلتى خطها مستوطن صهيونى على حائط دورة المياه فى الجامعة العبرية .

ليذهب السفارد إلى اسبانيا
والأشكناز إلى أوروبا
والعرب إلى الصحراء
ولنعد هذه الأرض إلى الخالق .
فقد سببت لنا من المتاعب الكفاية .
بوعده هذه الأرض لكل الناس

والقصيدة مثل نكتة أجمون تعبير فكاهى عبثى عن رفض فكرة الوعد الإلهى التى يستند إليها الخطاب الصهيونى . وهناك الكثير من النكت .. إلتى تؤكد أن أسرائيل كيان هش .. لابد أن يزول .. زرعته الصهيونية العنصرية فى أرض غير صالحة لكى تقام فيه دولة إسما فقط. فكل كيانها قائم على أمريكا فى كل شيئ ، المال ، السلاح ، والحماية أيضاً . وإذا زالت أمريكا.. وحتما ستزول كما زالت كل الأمبراطوريات من قبل عبر مراحل التاريخ . وهذا اليوم آت إن شاء الله !!! لا ريب فيه .


أخبار اليوم
القتلة
٤ نوفمبر ...


غدّوي